المقتطف

الجزء الحادي عشر من المجلد الثامن والعشرين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٣ — الموافق ١١ شعبان سنة ١٣٢١

رباعيات ابي العلاء

THE QUATRAINS OF ABU'L ALA.

اذا ظهر عند الافرنج كتاب وقع عندهم وقعاً عظيماً لقّبهُ مقرظوهُ بكتاب الشهر تنويهاً بذكرهِ. والكتاب الذي امامنا الآن يحق ان ينعت هذا النعت فقد وقع احسن وُقُع عند ابناء اللغة الانكليزية. ولا غرابة في ذلك لان الفضل يعرفهُ ذووهُ والمعري في الطبقة العليا بين حكماء الشعراء الذين غاصت عقولهم في بحار المعاني فالتقطت منها الدرر الغوالي وتجلّت لهم اسرار الحكمة فانارت بصائرهم وفاض شعاعها الروحاني من نفوسهم. ولأن ادباء الافرنج من اوربيين واميركيين يقدرون الفضلاء قدرهم ولو كانوا غرباء عنهم وتتعشّق نفوسهم حكم الحكماء حتى تكاد تتعبّد لها بل قد قام منهم مَن انزل عُمَر الخيّام الشاعر الفارسي منزلة الانبياء الملهمين وانشأ طريقة يتلو اصحابها اشعارهُ كما يتلون الآيات المنزلة

ولم يكن عُمَر الخيام الَّا تابعاً لابي العلاء المعري مقتبساً منهُ او ناسجاً على منوالهِ ومع ذلك لم يقدم احد على ترجمة اشعار المعري الى اللغات الاوربية الَّا الآن حينما هزَّت الاريحيَّة وطنينا الاديب امين افندي ريحاني اللبناني مولداً الاميركي داراً فقد برع في اللغة الانكليزية وجلى فيها نثرًا ونظماً فوق براعتهِ في لغتهِ العربيَّة فنقل الى الانكليزية مختارات من شعر ابي العلاء نظمها نظماً رائقاً بعد ان الَّف بينها واوجز واطنب وتصرَّف في التعبير عن المعاني كما سيجيء وقدَّم لها مقدمة بليغة قال فيها ما ترجمتهُ

"لما كانت اوربَّا كلها تعدُّ الاسلحة وتعبئُ الميرة لحرب الصليب الاولى واهالي الشمال يدوخون الاقاليم الغربية والخلفاء يثخنون في الخارجين عليهم كان ابو العلاء يثير حرب الاقلام على

ما في عصره من الشرور والاباطيل فحمل على الخرافات والاحاديث الموضوعة ونادى بوجوب الخضوع لسلطان العقل وطعن كبد الظلم والاستبداد طعنات صادقات ونادى بحرية الضمير وسمو النفس فوق مطامع الحكام . وقال بوجوب المساواة وبيّن معايب الرؤساء ديناً ودنيا

"نشأ هذا الرجل في اواخر القرن العاشر واوائل الحادي عشر وقد جهل الاوربيون امره كل هذا الزمن ولم يذكره كتّاب العربيّة الّا نادرًا

"ابو العلاء المعري لقريطيوس الاسلام وديوجنس العرب وفولتر المشرق (١) ولد في ربيع سنة ٩٧٤ للميلاد ومسقط رأسهُ قرية صغيرة على مقربة من حلب"

وافاض على هذا الاسلوب في ترجمة ابي العلاء وقال انهُ كان اكبر فلاسفة عصره وفضّلهُ على ابن سينا ووصفهُ بحرية الضمير والانتصار للحق والبعد عن الرياء . وان الاشعار التي ترجمها الى الانكليزية انتقاها من دواوينه الثلاثة سقط الزند وضوء السقط واللزوميات واضطرّ ان يتصرّف فيها تصرفاً لا يخرجها عن مراد ابي العلاء . ثم اشار الى ما بينها وبين رباعيات عمر الخيام من المشابهة . ومن رأيهِ ان عمر الخيام كان تلميذًا لابي العلاء او نقل عنهُ او اقتدى بهِ. واستدرك على ذلك قائلاً انهُ لا يقصد من تبيان هذا الامر ان يزعزع ثقة مريدي عمر الخيام بهِ ولا هو من اهل الغرور حتى يطمع بذلك بعد ان رسخ الاعتقاد بعمر الخيام في نفوس مريديهِ وانما هو يقصد ان يقوي تأثير الشرق في عقول اهل الغرب لا ان ينقضهُ وان يزيد قدرهُ لا ان ينقصهُ الى ان قال

"على ان الذي يقابل شعر عمر الخيام بما ترجمتهُ هنا يرى ان شكوكهُ وظنونهُ مقتبسة من ابي العلاء . فأبو العلاء فيلسوف شعراء العرب جاهر بآرائهِ الدينية مجاهرة قصر دونها الشاعر الفارسي . ولست اقول ان عمر الخيام انتحل معاني ابي العلاء بل اقول انهُ استعارها منهُ كما

---

(١) [المقتطف] لقريطيوس شاعر روماني نشأ في القرن الاول من التاريخ المسيحي ضمن اشعارهُ فلسفة ديموقريطس وابيقورس في اصل العالم وطعن في الاديان ونفى الخلود وقال ان الموجودات كلها مؤلفة من جواهر دقيقة منبثة في الكون والعقل والنفس والحياة لا تقوم بغير الجسد بل هي اجزاء منهُ كاليدين والرجلين وتنحلّ بانحلالهِ وان الامراض ناتجة عن ذرّات صغيرة منتشرة في الهواء وان انواع الحيوان مشتق بعضها من بعض بالنشوء

وديوجنس هو الفيلسوف الكلبي المشهور بالزهد ولد في بنطس سنة ٤١٢ قبل المسيح ونشأ في اثينا وتوفي في كورنثس وهو الذي قابلهُ الاسكندر المكدوني وقال لهُ ماذا تريد ان افعل لك فقال لهُ «حد من شمسي» فقال الاسكندر لو لم اكن الاسكندر لوددت ان اكون ديوجنس

وفولتر هو الفيلسوف الفرنسوي المشهور

استعار فولتير معظم آرائهِ الحرة وشكوكهِ في الدين من هوبس ولوك وبايل"
وقد ترجم ونظم مئة وستة وعشرين من هذه الرباعيات وطبع الترجمة الانكليزية والحق بها بعض الحواشي ولم ينشر معها الاصل العربي ليسهل على القارئ والمنتقد المقابلة بينهما. ويظهر مقدار ما تصرف فيهِ او راعى الاصل او زاد عليهِ من الامثلة التالية وقد نشرناها حسب ورودها في ترجمتهِ وقدَّمنا عليها عدد الصفحة التي نشرت فيها

صاحِ هذه قبورنا تملأُ الر حب فاين القبور من عهد عادِ

12 Behold, O, friend, our tombs engulf the land,
Our fathers' corses moulder in the sand;
From Aad's time where and how many are the graves?
Has not this sea of Death a Cliff, a strand?

فتوسع في الترجمة بما لا يخرج عن مراد المعري وما ذكرهُ في اماكن اخرى من ديوانهِ وزاد عليهِ معنًى قلما يخطر على بال اهل البادية وهو ان بحر الموت لا ساحل لهُ ولا صخر يوقف عليهِ

خفف الوطء ما اظنُّ اديم الا رض الاَّ من هذه الاجسادِ

14 Tread lightly, for a thousand hearts unseen
Might now be beating in this misty green;
Here are the herbs that once were pretty cheeks,
Here the remains of those that once have been.

وهنا زاد توسع المترجم ولم يكتفِ بجعل اديم الارض من اجساد الناس بل قال ان قلوبهم لا تزال تخفق تحت ثراها وان بقولها تكونت من وجنات الحسان

ربَّ لحد قد صار لحدًا مرارًا ضاحك من تزاحم الاضدادِ

15 Many a Grave embraces friend and foe,
And grins in scorn at this most sorry show;
A multitude of corses therein pressed—
Alas! Time almost reaps e'er he doth sow!

وزاد المترجم هنا معنى بديعاً وهو ان الدهر يكاد يحصد قبلما يزرع لسرعة ما يختطف النفوس

تعب كلها الحياة فما اعجب الاَّ من راغب في ازديادِ

16 The warp and woof of Life are woe and gloom ;
The Cup is bitter ; endless pain the doom :
Strange then that he should weave, that he should drink,
Who knows well how to smash both Cup and Loom !

عبَّر المترجم عن معنى المعري تعبيرًا فائقًا في بلاغتهِ فقال ان سدى الحياة ولحمتها ويل وغمٌّ كأسها مرة وقضاؤُها أَلم مقيم فاعجبْ لمن ينسج على نولها ويشرب من كاسها وهو يعلم كيف يحطم الكاس والنول معًا

انما ينقلون من دار اعما ل الى دار شقوة او فسادِ
ضجعة الموت رقدة يستريح — الجسم فيها والعيش مثل السهادِ

18 We're only moved from this all battered Tent
To some abode of peace, by accident ;
A night of deep sleep and repose is Death,
While in Life's day this Sleep by Care is rent.

والترجمة هنا قلما تفرق عن الاصل الأ في الشطر الاخير

كل بيت للهدم ما بنت الور قاءُ والسيد الرفيع العمادِ

19 Every abode to Ruin is addrest,
Be it a palace or a sparrow's nest ;
Let not the mighty build, for they must go,
Like that fair dove, with what they built, to rest.

وقد توسع في الترجمة فزاد المراد جلاءً ولكنهُ لم يزدهُ معنى

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان المقابر ان يبكوا
تحطمنا الايام حتى كاننا زجاج ولكن لا يعادلهُ سبكُ

35 I laugh and lo ! my shafts of scorn doth leap
On Adam's sons, who all by right should weep ;
Doubt crushes us like glass, and even the hope
Of restoration lost is in the heap.

والترجمة مطابقة للاصل مطابقة حسنة

افيقوا افيقوا يا غواة فانما دياناتكم مكر من القدماء

ارادوا بها جمع الحطام فادركوا   وبادوا وماتت سنة اللؤماء

50 Awake, awake, thou pious dupes, awake!
And see how all the creeds and cults do shake:
These are the jades the wily ancients rode
Upon the track of Life, to win their stake.

والترجمة مطابقة الاصل على قدر ما يستطاع

يرتجي الناسَ ان يقوم امامٌ   ناطقٌ في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا امام سوى   العقل مشيرًا في صبحهِ والمساء

52 Their vices 'neath the veil of Faith they hide,
And thus parade them, with unbridled pride;
Our reason we abuse, when we believe
Their Lies, and Reason is the only guide.

السطران الاوَّلان تقابلهما ابيات اخرى للمعري والسطران الاخيران مطابقان للبيت الاخير من الاصل ومن المحتمل ان الترجمة لابيات اخرى لم تحضرنا عند كتابة هذه السطور

يقولون ان الدهر قد حان موتهُ   ولم يبقَ في الايام غير ذماء
وقد كذبوا ما يعرفون انقضاءهُ   فلا تسمعوا من كاذب الزعماء .

55 Howbeit these sages say, "The end is here,"
That death will take the worlds, afar and near;
They lie about the universe, and—well,
Heed not their threats, and yield thou not to fear.

والترجمة تكاد تكون حرفية

اذا قلت المحال رفعت صوتي   وان قلت الصحيح اطلت همسي

60 Aye, Wrong forever is proclaimed aloud,
And strongly yoked upon a boundless crowd:
But Truth is only whispered to the few,
Who bury it alive without a shroud.

وفي الترجمة توسُّع في المعنى وزيادة في الايضاح ولعلها مأخوذة من ابيات اخرى

ونار ان نفخت بها اضاءت   ولكن انت تنفخ في رمادِ

لقد اسمعت لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي

110 Fan thou the fire and then behold the light!
Fan thou but ashes and bemoan thy sight:
Call thou the living and they will respond,
But whom thou callest are as dead as Night.

والترجمة تكاد تكون حرفية ايضاً ولا نظن البيتين للمعري

هذا وقد اجاد الناظم غاية الاجادة في النظم وسبك المعاني في قوالب انكليزيَّة فصيحة كاحسن الشعر عذوبة وبلاغة . والكتاب كلهُ يشهد لهُ بالسبق في حلبة الانكليزية وجودة النظم فيها وهو غريب عنها . ويدل على ان الشرقي ليس دون الغربي في ذكائهِ وقوة عقلهِ وخيالهِ واستعدادهِ الفطري اذا تيسرت لهُ الوسائط لاظهار مزاياهُ

وقد طبع دبلداي وباج وشركاؤُهم [1] هذا الكتاب طبعاً متقناً جدًّا ولا يبعد ان يقبل قراءُ الانكليزية عليهِ اقبالهم على اشعار عمر الخيام او اكثر لان معاني المعري اوضح بياناً واعلق بالنفوس وعبارتهُ انزه واعف . وحبذا لو اعاد المترجم الكرة على دواوين المعري فانهُ يجد فيها دررًا أُخرى تعدُّ بالمئات يحسن نظمها مع ما اختارهُ منها الآن

غرائب الشعوذة

وعدنا في الجزء الماضي ان نتكلَّم على ارتفاع الانسان في الهواء وخروجهِ من الصندوق المقفل وانجازًا لذلك نقول

ان رفع الانسان بغير قوة ظاهرة وتركهُ في الهواء غير معلَّق بشيءٍ وغير مسند الى شيءٍ مما تحار فيهِ العقول لانهُ مناقض لاختبار الناس . وقد رأينا احد المشعوذين يفعل ذلك في هذه العاصمة وشاهدنا الدهشة البادية على وجوه الذين رأَوهُ وكانوا يعدُّون بالمئات ونحن نعجب بمهارتهِ ونكشف للجلوس معنا سرَّ صناعتهِ وهم لا يكادون يصدقون

اتى بكرسيين من الكراسي العادية واوقفهما الواحد تجاه الآخر والبعد بينهما نحو متر ووضع عليهما لوحاً عريضاً متيناً ودنت منهُ فتاة حسناءُ فانهضها بيديهِ والقاها على اللوح فاستلقت عليهِ وجعل يشير بيديهِ فوقها كما يفعل المنوِّمون فاغمضت عينيها وتناومت وحسب الحضور

(1) Doubleday, Page & Company 34 Union Square New York

انها نامت النوم المغنطيسي وكان وراء الكراسي ستار اسود فظهرت امامهُ ظهورًا واضحًا فوقف امامها وجعل يرفع يديها ويتركهما فتقعان كانهما يدي فتاة ميتة او مستغرقة في النوم ثم رفع الكرسيين من تحت اللوح فبقي اللوح في الهواء والفتاة نائمة عليهِ . فصفق لهُ الحضور وكرروا التصفيق واكثرهم لا يشك ان اللوح والفتاة معلقان في الهواء لانهم لم يكونوا يرون شيئًا يرفعهما من فوق او يسندهما من تحت. ثم احضر المشعوذ اطارًا من الحديد الصقيل وادارهُ على الحضور فراوا انهُ متصل لا خلل فيهِ . مثل كل المشعوذين يرونك ما لا حاجة بك الى رؤْيتهِ ويخفون عنك ما لو رايتهُ لا نكشف لك امرهم ثم عاد الى امام الفتاة وجعل يمرُّ الاطار حولها وحول

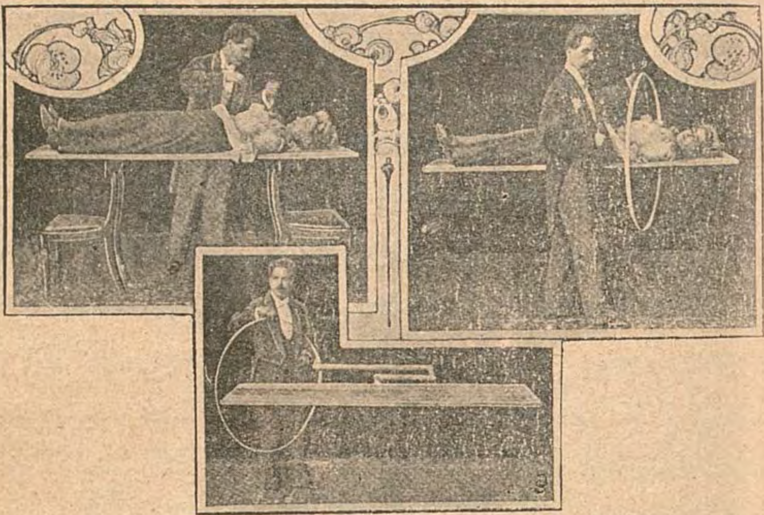

اللوح من رأْسها الى قدميها ومن قدميها الى رأسها ذهابًا وايابًا لكي ينفي كل ظن باعتماد اللوح على شيءٍ غير منظور او تعلقهِ باسلاك غير منظورة فاعاد الحضور التصفيق والاستغراب ثم اعاد الكرسيين الى تحت اللوح وايقظ الفتاة وانزلها عنهُ واستدعى بعض الحضور فصعدوا اليهِ ودققوا نظرهم في اللوح والكرسيين فلم يروا شيئًا يدلُّ على كيفية ثبوتهِ في الهواء والفتاة نائمة عليهِ من غير ان يسندهُ شيءٌ

ويتضح كل ذلك من النظر الى الصور الثلاث المتقدمة فترى في اليسري منها صورة الفتاة نائمة على اللوح وتحتهُ كرسيان يسندانهِ والمشعوذ واقف وراءها وهو لا يزال يشير بيديهِ وفي الصورة الثانية اللوح في الهواء لا شيءَ يسندهُ والفتاة نائمة عليهِ والمشعوذ يمرُّ الاطار حولها وحولهُ وفي الثالثة طريقة هذه الحيلة

وتعليل ذلك ان وراء الستار آلة تسير على عجل فيها قضيب متين من الحديد لهُ عطفتان كما ترى عند الحرفين ج ود فينفذ من فتحة في الستار ويوضع طرفهُ العريض المدلول عليهِ بالحرفين ا ب تحت اللوح فيستند اللوح عليهِ حتى اذا نزع الكرسيان من تحت اللوح بقي مستنداً على هذا القضيب ولا يظهر شيء منهُ لانهُ يكون وراء النائمة . ثم يجعل المشعوذ يمرُّ الاطار حول اللوح من رأسها الى قدميها الى ان يصل الى النقطة ج ومن قدميها الى رأسها الى ان يصل الى النقطة د فيظهر كانهُ امرَّهُ من جهة الى اخرى واثبت للحضور ان لا شيءَ يسند اللوح من ورائهِ . ثم يضع الكرسيين تحت اللوح و يعاد القضيب الحديدي الى وراء الستار

وخروج الانسان من الصندوق المقفل ليس اقل غرابة من هذه الحيلة فان المشعوذ يأتي بصندوق كبير محدَّد ويدعو الحضور ليصعدوا الى الدكة و يمعنوا نظرهم فيهِ فيرونهُ مثل الصناديق العادية من كل وجهٍ لا يفرق عنها الاَّ في ثقوب صغيرة يدخل منها الهواء الى الرجل الذي يوضع فيهِ فلا يموت اختناقاً . ويأتي مساعد المشعوذ بكيس كبير من الجنفيص ويريهِ ايضاً لمن يريد ان يراهُ من الحضور ثم يدخل فيهِ ويربطهُ المشعوذ من فتحتهِ بخيط متين ويعقد الخيط ويختمهُ بالشمع الاحمر بخاتم احد الحضور و يضع الكيس والرجل فيهِ في الصندوق ويقفلهُ ويربطهُ بحبلٍ متين ويختمهُ ايضاً و يستعين ببعض الحضور على ربطهِ وختمهِ. ثم يلقي عليهِ ستاراً كبيراً و يتركهُ بضع دقائق متظاهراً انهُ انشغل عنهُ بغيرهِ ويعود اليهِ ويرفع الستار عنهُ فاذا هو في محلهِ والرجل الذي كان فيهِ جالس عليهِ والكيس الى جانبهِ . فيستدعي الذين ساعدوهُ في ربط الصندوق والكيس ليروهما فاذا الصندوق لا يزال مربوطاً كما كان فيفكهُ ويفتحهُ فلا يجد فيهِ شيئاً والكيس الذي كان الرجل فيهِ يبقى مربوطاً ومختوماً كما كان

وتفسير هذه الحيلة ان يكون مع المشعوذ خابور كبير مغطًّى بالجنفيص فاذا ضمَّ فم الكيس ليربطهُ وضع الخابور بين الطيَّات ولف الخيط عليها حتى اذا وضع الكيس في الصندوق نزع الرجل الذي فيهِ الخابور من بين الطيات فينحل الرباط من نفسهِ ويخرج الرجل من الكيس وفي احد جوانب الصندوق محور قرب وسطهِ يدور ذلك الجانب عليهِ وهو ممكن في احد طرفيهِ بزر مرن فاذا ضغط عليهِ انفتح ودار الجانب على محورهِ فيخرج الرجل منهُ بسهولة ويخرج الكيس معهُ ويرد الرباط الى حول فمهِ ويضع فيهِ الخابور فيظهر كما كان اولاً حينما رُبط. ولا اشكال في ذلك لكن مَن لم يطَّلع على هذا الايضاح يتعذَّر عليهِ ان يكتشف بنفسهِ حيلة المشعوذ

العربية والمدرسة الكلية

اي تاريخ اللغة العربية وآدابها في المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت وهي خطبة للاستاذ جبر ضومط تلاها في الاحتفال بتنصيب رئيس المدرسة الجديد في شهر مايو الماضي

ايها الاخوة والرفاق الاعزاء

اشتهرت مدرستنا الكلية اشتهاراً طبَّق آفاق الشام ومصر وتجاوزهما الى العراقين واسيا الصغرى وجزر المتوسط . اما في الشام ومصر فبلغت فيهما شهرتها مكاناً لا تدانيها فيهِ مدرسة اخرى من بقية المدارس الشامية على قِدم عهدها وبعد شهرتها في العلوم والآداب

ولا يخفى ان معظم هذه الشهرة انما كان في اللغة العربية وآدابها وذلك لما اشتهر بهِ ابناؤها من التقدُّم في الكتابة والخطابة والتأليف في العربية . على اني وان قلت ان شهرة ابنائها انما كانت في اللغة العربية فلا اعني ان العربية مجرَّدةً عن غيرها من العلوم والمعارف كانت السبب الوحيد في تلك الشهرة انما اعني انها كانت آلةً ظهر بها فضلهم وما عندهم من المعارف والعلوم فظهرت من ثمَّ شهرتهم وشهرة مدرستهم معاً

وبيانهُ ان المعارف والعلوم التي كانت ولا تزال عمدة دروس هذه المدرسة هذَّبت من استعداد ابنائها الشخصي وقوَّت من مداركهم العاقلة بما زادتهم من العلم بحقائق الامور فجعلتهم من ثمَّ اكفاءً للمراكز التي اشغلوها بعد خروجهم منها . وهذا اي العلم بحقائق الامور هو اساس الشهرة الحقيقية وركنها المتين الذي تستند اليهِ فإن ظهر للناس واستفادوا من من اهلهِ ظهرت شهرتهم والاَّ فان بقي مدفوناً في صدورهم لم يكن لهم من الشهرة الاَّ ما يعلمهُ عنهم معاملوهم من كفاءتهم في الاعمال لاغير . ومما هو معلوم ان علم ابناء هذه الكلية لم يبقَ مدفوناً في صدورهم بل ظهر كتابةً وخطابةً وتعليماً في المدارس ومن على المنابر وذاع عنهم في البلاد شرقاً وغرباً فذاعت معهُ شهرتهم وعرف الناس فضلهم وفضل مدرستهم لوقتٍ قصيرٍ من تأسيسها . والراجح انهُ لولا العربية لكانت شهرة هذه المدرسة وشهرة ابنائها على غير ما هما عليهِ الآن ولاقتصرت فائدتها على تهذيب تلامذتها الشخصي فقط من غير ان تتعدَّاهُ الى زيادة تذكر في سبيل الشهرة ونشر المعارف في البلاد عموماً

ايها الاخوة والرفاق ليس من غرضي ان اطريكم الآن ففضلكم اعظم من ان يُشهرهُ إطرائي وكفاءتكم في الاعمال وعلمكم بحقائق الامور والوجود اعلى من ان تذيعهُ كلماتي بل انتم اعرف في بلادكم وامتكم من ان تحتاجوا الى مديحي وتعريفي ومدرستكم هذه التي تفتخرون بها اصبحت

والحمد لله بحيث لا يجهلها الأ الغبيُّ الجاهل ولا يختلف في فضلها وتفضيلها على غيرها الاَّ الحاسد والمكابر . وعليهِ فاذا قلت ان اخواني من ابناء هذه المدرسة اشتهروا في الكتابة والتأليف فلا اعني انهُ لم يقم كاتب الاَّ منهم ولا مؤلف الاَّ درس في مدرستهم بل يلذ لي التصريح على مسمع منكم ان هنالك كثيرين من ارباب الاقلام واصحاب التآليف ممَّن درسوا في غير مدرستنا وتعلموا على غير اساتذتنا والاعتراف بذلك لا يقدح في فضلنا ولا ينقص من شهرتنا ولا من شهرة مدرستنا بل نحن اوَّل من يُفاخر بفضل هؤلاء العلماء الاعلام ويشهد ببلاغة يراعهم ويقرُّ بسعة علمهم واطلاعهم كما انهم هم كانوا من الذين عرفوا قدر مدرستنا واثنوا عليها وعلى ابنائها وكانوا ولا يزالون ممن يعجبون بها وبمبادئها وما زالوا ولن يزالوا عضدًا لها واخوانًا لابنائها وجهتهم واحدة وغرضهم واحد السعي في تقدم البلاد ورفع منار العلم والفضيلة . وقد آن لي ان ابدأ بموضوعي وهو

اللغة العربية في مدرستنا الكلية منذ اول نشأتها الى اليوم. وسأتحرى فيهِ بسط الحقيقة كما هي على قدر ما يسمح لي بهِ الوقت

ارى ان تاريخ هذه اللغة يقسم الى ثلاث مدات . (الاولى) مدة غلبة اللغة العربية وخمول الانكليزيَّة . (الثانية) مدة غلبة اللغة الانكليزية وخمول العربية . (الثالثة) مدة غلبة اللغة الانكليزية وانتعاش اللغة العربية وذلك باقبال الطلبة عليها ورغبتهم فيها كما هو الحال عليهِ الآن

امَّا المدة الاولى فتبتدئُ بابتداء المدرسة سنة ١٨٦٦ وتنتهي سنة ثمانين ويجوز لنا ان نسميها بالعصر الذهبي في تاريخ اللغة العربية وذلك لانها اي العربية كانت لغة المدرسة وبها كانت تدرَّس كل فروع العلوم في قسميها العلمي والطبي فضلاً عن علوم اللغة الخاصَّة من صرف ونحو وبيان وبديع وعروض وقافية ولم تكن اللغة الانكليزية شيئًا مذكورًا بل قد كان يخيَّر بينها وبين اللغة الفرنساوية وربما تجافى الكثيرون عن درسها واستعاضوا عنها بدرس الفرنساوية

امَّا المدة الثانية فتبتدئُ سنة ثمانين وتنتهي على ما ارجّح سنة تسعين او حواليها وفي هذه المدة غلبت اللغة الانكليزية على العربية فاخذت محلها واصبحت العربية من ذلك الحين الى الآن فرعًا بعد ان كانت اصلاً فأُهمل فيها تدريس العلوم جملة اولاً في القسم العلمي ثم في القسم الطبيّ والصيدلي وفي نحو هذا الوقت تمَّ تشكيل الدائرة الاستعدادية باللغة الانكليزية ايضًا فتم لهذه الفوز واصبحت سائدة ترفل في مطارف غلبتها وظهورها وانخنست (وانسحبت) العربية عن مواقف عزّها على منابر العلوم والفنون الى زاوية علومها الخاصَّة بها الصرف والنحو

وما والاها . فلما صارت الى هذه الحالة واديل عنها الى الانكليزية انصرفت النفوس عنها وضجر المتعلمون منها فرأوها طويلة الذيول لكن على غير طائل وكثيرة الشروح ولكن لا تشرح صدرًا. ومن نكد طالعها انَّ المتعلمين كانوا قلَّما يفرقون بين علوم اللغة الصرف والنحو والبيان وبين اللغة نفسها فيظنون انَّ العربية في شرح ابن عقيل والخضراوي وحاشية الصبَّان الاَّ الذين وفقهم الله وقليل ما هم . وبذلت عمدة المدرسة جهدها في ارجاع العربيَّة الى رونقها الاول فلم تستطع الى ذلك سبيلاً فان العوامل التي كانت تصرف النفوس عنها كانت اعظم من ان تقاوَم وتغلب لذلك الحين كما سنلمح الى ذلك ان شاء الله . وما زالت الخواطر منصرفةً عنها الى ان تمَّ ما كُتب عليها من ايام الشدة والبؤس. ولما انقضت تلك الايام اخذت تنتعش شيئًا فشيئًا وكانت الخطوة الاولى التي خطتها نحو التقدم في ايام الاخوين الكريمين عزتلو سعيد بك شقير ورفعتلو يوسف افندي افتيموس فانهما اهتمَّا في تعليم هذه اللغة ووضعا كتابهما المشهور طيب العرف في علم الصرف ليدرَّس في الاستعدادية ونسَّقاهُ تنسيقًا لم يسبقا اليهِ فيما نظن . ومزية هذا الكتاب انهُ يعلم قواعد اللغة واللغة معًا وذلك بما اودعا فيهِ من الالفاظ المختارة والجمل المنتقاة والقطع البليغة التي اخذاها من ثقات المؤلفين المشهود لهم بالبراعة والبلاغة

لكن مع كل ما بذلوهُ ما زالت النفوس نفوس الاهلين عمومًا ونفوس التلامذة خصوصًا منصرفةً عن العربية الى ما بعد سنة تسعين فاني جئت المدرسة معلمًا في هذه السنة واعلم ان بعض الآباء كتب الى ابنهِ في المدرسة في تلك السنة او في السنة التي بعدها يعنفهُ تعنيفًا شديدًا لانهُ كتب اليهِ في اللغة العربية دون الانكليزية. ومع انهُ يمكنني ان اقول ان انتباه التلامذة الى اهمية اللغة العربية ابتدأ من ايام الاخوين المومى اليهما اقول ايضًا انهم اي التلامذة كانوا كمن انتبه من سُبات ثقيل وظنَّ ان الفجر لا يزال بعيدًا فهو يحاول اليقظة تارةً ويعود الى النوم اخرى وما زالوا كذلك بضع سنين حتى جاءت سنة خمس وتسعين وحينئذٍ كانت الاستفاقة على اتمها فلم يرجعوا بعدها الى النوم . الآن النهضة الحديثة او تجدد الرغبة في العربية لم تبلغ غايتها الاَّ عند ما انتقلت الاستعدادية الى ابنيتها الجديدة وتولَّى ادارتها استاذنا الفاضل روبرت وست فانه بذل حينئذٍ غاية الجهد في ترقية شأن العربية في الاستعدادية فصرف ليالي كانت طوالاً يفكّر ويروّي في المسألة وكثرت اجتماعات معلمي اللغة العربية في بيتهِ يتداولون ويتباحثون في افضل الطرق والوسائل لترقية شأن هذه اللغة الشريفة وما زالت اجتماعاتهم تتوالى حتى استقر رأي جميعهم على طريقة رسموا لها خطةً ما زالوا عليها

الى الآن ولا يزالون ومرمى هذه الطريقة الى أتقان اللغة العربية واتقان الكتابة فيها لا الى اتقان تعليلات اللغويين واستظهار مذاهب النحاة وفوق ذلك زادت ساعات التعليم وهذا من الاهمية بمكان فبدلاً من الاقتصار على تعليمها في السنة الرابعة والخامسة صارت تعلّم في كل السنين من السنة الاولى فما فوق . وهنا لا بدَّ لي من ان اثني اطيب الثناء على اهتمام استاذنا المشهور روبرت وست واتدرج من ذلك الى الثناء على عمدتنا الموقرة ودائرة مدبرينا الكرام فان اهتمام استاذنا المومى اليهِ انما كان عنواناً لاهتمامهم ورغبتهُ مظهرًا لرغبتهم ورغبة دائرة المدبرين في ترقية شأن هذه اللغة وتحبيب ابنائها بها . ولا يجوز لي ان اتغاضى عن الاشادة بغيرة ونشاط معلمي هذه اللغة في الاستعدادية في السنين المتأخرة واخص منهم بالذكر الاخوين بولس افندي خولي وانيس افندي راسي ومن قبلهما الاخوة لبيب افندي جريديني ونجيب افندي شاهين وخليل افندي ثابت وفارس افندي الخوري

واراني وصلت الى سؤَال لا بدَّ لي من ذكرهِ والجواب عليهِ والسؤَال هو " هل اصابت العمدة في استبدال اللغة العربية باللغة الانكليزية " فانهُ لا يصح لمن تصدَّى للخطابة في تاريخ اللغة العربية في مدرستنا من اول نشأتها الى حد هذه الساعة ان يغضي عن هذا الاستبدال المهم وعما اذا كان من قبيل الخطاء والضرر او من باب الاصابة والنفع لهذه المدرسة وابناء هذه المدرسة معاً

ارجح ايها الاخوة والرفاق الاعزاء ان كثيرين منكم يهولهم موقفي الذي انا فيهِ الآن لصعوبة التخلُّص في جواب السؤَال الذي سألتهُ وكانما اسمع من يقول ما كان اغناك عن هذا السؤَال فانك ان قلت اصابت العمدة في هذا الاستبدال كنت كمن يعارض الحقيقة في اعتقاد من يحبون العربية وينتصرون لها وان قلت غير ذلك واجهت اكثر الحضور ان لم يكن كلهم بما يكرهون في يوم عيدهم ومسرَّة قلوبهم

لا يهولكم حرَج موقفي ايها الاخوة فاني ما دخلت هذا التيه الاَّ وقد نفضت جوانبهُ ورأيت اني مهتدٍ فيهِ انشاء الله وسأخرج منهُ بما يسرُّكم ويسرُّني ويزيد في بهجة ليلتنا هذه وسترون اني لا اقول الاَّ الحقَّ الحقَّ الذي اعتقدهُ واستطيع ان اقيم البرهان عليهِ ايضاً

قبل الحكم في هل اصابت عمدتنا الموقرة ودائرة امنائنا ومدبرينا في هذا الاستبدال ام اخطأُوا فيهِ لا بدَّ من النظر في غاية المدرسة والغرض الذي أُسست من اجلهِ فان كان الاستبدال يناسبهُ كان الاستبدال صواباً وان كان يعارضهُ ويناقضهُ كان غلطاً لا مرية فيهِ فلنلتفت اذن الى غرض المدرسة وغايتها وهنا نقول من غير تردّد انهُ كان من غايتها ان تساعد

على نشر المعارف والعلوم العصرية بواسطة تلامذتها بين ابناء اللغة العربية ولا يزال هذا الغرض غرضها وهذه الغاية غايتها الى الآن والى ما شاء الله . وكون هذا يتم بالاشتغال بالكتابة في اللغة العربيَّة والخطابة والتعليم في المدارس ومن على المنابر امرٌ مقررٌ لا يماري فيهِ ممارٍ لوضوحهِ على انَّ ما ذكرناه انما هو من غرض المدرسة لا كلُّ غرضها ولو كان كل غرضها لكان يجب ان تكون قد اقفلت ابوابها منذ عشر سنين على الاقل لان عدد الذين نالوا شهادتها البكلورية لحد سنة ١٨٩٤ كان نحواً من مئة وخمسين وعلى فرض انهُ لم يكن ثم مدرسة يخرج منها كاتب او مؤلف الاَّ مدرستنا افتظنون ان سوريا كانت تكفي لتشغل هذا العدد . ان مطابع سوريَّا وجرائدها في نفس هذه السنة (وتعلمون انها صارت ضعف ما كانت عليهِ منذ عشر سنوات) ليكفيها خمسون كاتباً ومنشئاً ومؤلفاً في اللغة العربيَّة فماذا نصنع بالمئة الباقين تقولون ليكونوا معلمين في المدارس ووعَّاظاً على المنابر . ايها الكرام الافاضل الذين في ايديكم ادارة المدارس من اميركان وانكليز أعندكم مئة مركز تعليم ووعظ تليق بمئة بكلوريوس يشغلونها ؟ انا اجيب عنكم . ان البكارسة لحد سنة ثمانين كانوا نحواً من ستين ومن هؤُلاء الستين رجع ثلاثون الى المدرسة ليدرسوا الطب فما معنى ذلك ؟ معناه انهم لم يجدوا مراكز تعليم ووعظ تناسبهم ويناسبونها ولو وجدوا تلك المراكز ما رجعوا الي طلب الطب على ما فيهِ من النفقات وتعب الدرس اربع سنين ليلاً ونهاراً

اذن ليس كل غرض المدرسة تهذيب تلامذتها لمجرد التعليم والوعظ والكتابة في اللغة العربية بل لها مع هذا الغرض غرض آخر اهم منهُ بمرَّات وهو غرض تهذيب التلامذة وتوسيع مداركهم واستعدادهم ليكونوا كفوءًا للاعمال المتنوعة من صناعة وتجارة وادارة وما شا كل وهذا الغرض بالنظر الى حالة البلاد وحاجتها الى اوربا واميركا يقتضي اتقان لغة اجنبية كما لا يخفى فضلاً عن ان اتقان لغة اجنبية اصبح ضروريًّا للمعلم والواعظ والكاتب والمؤلف في نفس اللغة العربية والمشاهد اكبر دليل على صحة قولنا هذا . وعليهِ فلما رأت عمدتنا ودائرة مدبريها بعد اربع عشرة سنة من تأسيسها ان من خرجوا منها وهم نحو من ستين بكلوريوساً وما يماثل هذا العدد من الاطباء ممن درسوا في اللغة العربية يكفون في سدّ حاجة البلاد الوقتية من جهة التعليم والوعظ والكتابة والتأليف ولاسيما اذا اضيف اليهم المتعلمون في بقية المدارس الاخرى الانجيلية كمدرسة كعبيه وسوق الغرب وصيدا وان ما زاد على هذا العدد ما لم يكونوا متقنين لغة اجنبية لا يجدون لهم مراكز يشغلونها لا في الشام ولا في غيرها بل يصبحون عالة على البلاد لم ترَ افضل من استبدال لغة التعليم فجعلتها من حينئذٍ الانكليزية بدلاً من العربية لكن

بدون اهمال العربية ولا تقصير فيها فقامت بذلك عظمة المدرسة الكلية الحالية ووصلت الى ما وصلت اليهِ الآن من كثرة عدد التلامذة وتقاطر عدد الطلاب اليها من سائر الجهات .
فترون اذن ان استبدال العربية بالانكليزية كان صوابًا لانهُ كان موافقًا لحاجة البلاد والتلامذة فضلاً عن انهُ موافق لغاية المدرسة وغرضها ايضًا ولو كان الوقت يسعني لبيَّنت ايضًا ان هذا الاستبدال على عكس ما يظنُّ فيهِ كان وسيكون وسيلة لتقدم اللغة العربية وزيادة غناها في العلوم والآداب

واما ما كان من انحطاط العربيَّة وخمولها في المدرسة ما بين سنة ثمانين وتسعين الى خمس وتسعين فلم يكن لاسباب خاصةٍ قدر ما كان لاسباب عامَّة تناولت البلاد كلها ومدارسها جملةً ومن بينها المدرسة الكليَّة واليكم بعضًا منها

(١) لان استبدال العربيَّة بالانكليزية لم يكن اعتباطًا بل كان عن شعور عمدة المدرسة وفقًا وتبعًا لشعور الاهلين والطلبة باهمية اللغة الانكليزية وشدَّة الحاجة اليها ولذلك فلما تمَّ الاستبدال انصرفت خواطر التلامذة الى الانكليزية على قدر شعورهم بالحاجة اليها وبالضرورة انصرفت خواطرهم عن العربيَّة ونقص من اهتمامهم بها

(٢) ما كان من الحوادث العرابية في مصر وما عقبها من الاحتلال الانكليزي في تلك البلاد وهي من امهات البلدان العربية فان تلك الحوادث وذلك الاحتلال استوقفا الابصار مدة وجفت لهُ في اثنائها قلوب اهل العربية عمومًا وكتابها خصوصًا وتخوفوا عاقبتهُ على اللغة واهل اللغة معًا وقضت الحوادث على كثيرين من الكتاب والخطباء والبلغاء فاختبأَ بعض ونُفي بعض والبقية اخذهم الذهول فوقفوا حيارى لا يدرون ما يصنعون وظنوا ان قد قضي على اقلام الكتاب في العربية ودارت عليها الدوائر ثم تبع ذلك حوادث السودان والمتمهدي فكثر الطلب على من يعرفون الانكليزية حتى اعوز وجودهم في مصر وكتب معتمد الدولة الانكليزية فيها الى قنصلها الجنرال في بيروت ان ارسل من وجدت ممن يعرفون الانكليزية تراجمةً . فأُرسل كثيرون برواتب شهرية كبيرة وفيهم اناس لم ينالوا حظًّا كافيًا من العلم وانما كانوا يعرفون شيئًا من الانكليزية وتُرك من المتخرجين في العربية وآدابها وعلومها جماعة اماثل يشار اليهم بالبنان وهم يعضون اصابعهم ندمًا على ما فاتهم من درس الانكليزية وكل ذلك لم يكن في زاوية ولا خفي عن تلامذة هذه الكلية لان بعضهم تركوا صفوفهم وذهبوا تراجمة الى مصر والسودان وقد قوي اعتقادهم في اهمية الانكليزية ونفعها وضعف على نسبة ذلك اعتقادهم في العربية بل شك كثيرون لذلك الحين في انها تقوى على ان تطعمهم خبزًا

(٣) ان كثيرين من اهالي لبنان وولايتي بيروت وسوريا كانوا قد انتبهوا الى المهاجرة وكثيرون منهم سافروا الى الولايات المتحدة وكندا واوستراليا فعرفوا اهمية اللغة الانكليزية وعدم انتفاعهم في تلك الديار بشيء من اللغة العربية فزهدوا في هذه وحرصوا على اكتساب تلك ورغَّبوا فيها اقاربهم ومعارفهم

(٤) ان كثيرين من شبان اليونان بداعي ما حصل من التبدل في حكومة قبرص ومصر قصدوا المدرسة الكلية ولم يكونوا يقصدونها من قبل ليدرسوا اللغة الانكليزية فقط ورأى منهم شبان سوريا اهتماماً شديداً في درسها فزاد ذلك في توجيه خواطرهم الى اهميتها والى الحرص على اتقانها ونسوا اهمية العربية او تناسوها لكن الى حين ولم يكن والحمد لله طويلاً

ايها الاخوة والرفاق هذه هي الاسباب التي دعت الى خمول العربية وانصراف الخواطر عنها في البلاد ومدارس البلاد عموماً لكن لما كانت تلك الاسباب بعضها مقارن لاستبدال اللغة العربية في مدرستنا وبعضها لاحق بهِ شُبِّهَ على الاكثرين فتوهموا على خلاف الحقيقة ان مصاحب السبب هو السبب دونهُ

لكن الاحتلال الانكليزي لم يبتلع مصر ولا اللغة العربية في مصر ولم يلبث الامر طويلاً حتى انجلت غشاوة الوهم عن اعين الكثيرين فرأوا بعد الاحتلال مجالاً للعربية ولاقلام كتاب العربية اوسع من ذي قبل فاخذت الجرائد تكثر والمؤلفات تظهر وبان للملا اجمع ان العربية لا يستغنى عنها في البلاد العربية بل هي قوام الهيئة والجامع الذي يجمع بين افراد الامة وبها يتكلم المتكلم فيسمع صوتهُ اكثر من خمسين مليوناً من الناس

وزد على ذلك انَّ المهاجر الى البلاد الغربيَّة رأى حين رجع الى نفسهِ وذهبت عنهُ روعة المهاجرة ان العربيَّة هي الواسطة التي تربطهُ بشعبهِ وامتهِ وهي الموصل الذي يوصل افكارهُ واختباراتهِ وهو في الولايات المتحدة او غيرها من بلدان اميركا الشمالية وفي البرازيل او غيرها من بلدان اميركا الجنوبيَّة الى انحاء مصر والشام والعراقين والبلاد المغربيَّة حتى الى قلب افريقيا وبلاد العجم والهند كل هذه الحقائق اخذت تتجلَّى شيئاً فشيئاً لاذهان العقلاء والمتهذبين في العالم العربي ولا سيما في الشام ومصر فعادت الرغبة في العربيَّة الى المدارس عموماً والى مدرستنا الكلية خصوصاً واقبل تلامذتها على انشاء الجرائد العربية تحت مناظرة العمدة واستأذنوها في ذلك فأَذِنت لهم راضية باسمةً ونشطتهم بما استطاعت واول جريدة ظهرت في الكلية ظهرت سنة ١٨٩٥ . ثم توالى ظهور الجرائد من ذلك العهد الى الآن ومنذ سنة ٩٩ الى اليوم لم يقلّ

عدد الجرائد المدرسية عن ثلاث بعضها اسبوعي وبعضها يصدر كل خمسة عشر يوماً مرةً . ومن جرائد هذه السنة الحديقة وهي في سنتها الرابعة والحظ وهي في سنتها الثانية وحسناء الكلية وهي في سنتها الاولى · واعداد بعضٍ من هذه الجرائد لا تزال محفوظة في المكتبة مجلدة في كتاب تجليدًا حسنًا

وكما استأذن التلامذة عمدتنا الموقرة في انشاء الجرائد استأذنوها ايضاً في انشاء الجمعيات فاذنت لهم ونشطتهم حتى بلغ عدد جمعيَّاتنا الثلاث عشرة جمعية منها واحدة في اليونانية وثلاث في الانكليزية وتسع باللغة العربية . ومن هذه التسع اثنتان انشئتا اثناء هذه السنة صدًى لتنشيطات رئيسنا الجديد المحبوب

هذه هي خلاصة تاريخ اللغة العربيَّة في مدرستنا الكلية والذي رأيتموهُ وسمعتموهُ ممثلٌ ما وصلنا اليهِ الى سنتنا هذه

والظواهر كلها تشير الى انَّا في اوائل نهضةٍ تقرُّ لها عيون ابناء الكلية ومحبيها ولا سيما رئيسنا الفاضل وعمدتنا المحبوبة ودائرة مدبرينا وامنائنا الكرام

ايها الاخوة ابناء العصر الذهبي في تاريخ اللغة العربية كنت أَحبُّ ان اقابل بين حالة ذلك العصر والكتابة العربية فيهِ وبين حالة العصر الحالي والكتابة العربية فيهِ لكنَّ المقابلة فيها شيءٌ من الافتخار عليكم لانَّ لنا اشياء نعدّدها اليوم لم تكن لكم ولو فعلت وعدَّدت ما يُرى انهُ لنا لاحتجتُ ابقاء لذلك العصر في مقامهِ السامي الى تعليلات كثيرة واعتبارات شتَّى ولذلك تركت المقابلة رأساً فحسب كل عصر انهُ ادَّى ما عليهِ من الواجب وكان فخرًا لمدرستهِ وبلادهِ

كنت لحد هذه الساعة مؤَرخاً لا مطريًا ولو اردت الاطراء لوجدتُ مكان القول ذا سعةٍ وحسبي اطراء لرئيسنا المحبوب وعمدتنا الموقرة ما رأتهُ اعينكم في هذه العشية من نواب جمعيَّاتنا واعداد جرائدنا وما سمعتهُ آذانكم من خُطب خطبائنا والسلام

جبر ضومط

السوري

من خطبة تليت في جمعية الشبيبة السورية في المدرسة الكلية ببيروت

يا زمانَ السعودِ والافلاحِ عمرك الله ما اعدتَ الزياره
أبتاتًا طلّقتَ هذي النواحي حين امستْ اخلاقها مستعاره
هل عزمتَ المقامَ في اوربّا حيثُ خلتَ الهوا اصحّ وانقى
واقمتَ المالَ المعظمَ ربًّا فوجدتَ الورى هنالكَ أتقى
هل رأيت البلاد ثمة اخصبْ ووجدتَ السماء ابهى واصفى
هل رأيت السكان في الفضل ارغبْ وبذكرِ الجميل والعهدِ اوفى
ايُّ شيءٍ في الغربِ عنّا ثنا كا أجمالٌ في الارض ام في البلادِ
كل نفسٍ منا ترومُ رضا كا فعلى مَ الجفا وطولُ التمادي
يا زمانَ الفلاح باللهِ قلْ لي من تجنّي عليك حتى ارتحلتا
من رأى فيك غير فضلٍ ونبلِ مَن توانى عن فعل ما قد امرتا
افساد في الارض ام في بنيها وحؤول في الشمس ام في الكواكبْ
حالةٌ لا أرى التوسّعَ فيها مجديًا واللبيبُ مَن لا يحاسِبْ
آنَ يا اهل موطني ان نجانبْ كل ما يجلبُ الخمولَ علينا
غيرُنا شدّ للمسيرِ الركائبْ وجميعًا بتنا نسيرُ الهوينا
ايُّ فوز للقاصرِ المتراخي ان تبارى مع القويّ المحنّكْ
ايفيدُ الغريقَ كثرُ الصراخِ والايادي لنشلهِ لا تحرّكْ

ايها السادة والسيدات

يعلم الله وبضعة من خلقهِ اني ما اخذت على نفسي الكلام عن السوري في هذه الليلة الآ قيامًا بطلب الجمعية . لانهُ مهما كان لهذا الموضوع من الاهمية في نظر التاريخ والسعة في جانب الحقائق فهو تافه مبتذل في نظر الكثيرين ضيّق المجال على الباحثين الصادقين والحالة كما تعرفونها انتم وانا . وفوق ذلك ان في المثول لدى هيئة سورية والتعريض او التصريح ببعض مساويها من خاطب يبغي رضاها لحرَجٌ لا يعرفهُ الّا من عاناهُ . يسمع البعض ما لا يروقهم ولا ينطبق على منتظرهم فيتقبّضون ويتهاونون بالاصغاء غير ذاكري القول المأثور "لعلّ لهُ عذرًا وانت تلومُ" والبعض لا يقف عند حد التهاون بالاصغاء بل يتعداهُ الى سهل

المبالغة في التخطئة والتفنيد — وهذه خلة شائعة بين الكثيرين فهم ينظرون الى القائل لا الى المقول ويحكمون كما يوافق اهواءهم لا كما يوافق الحقيقة

وعليهِ فان الداعي الماثل لديكم قد تدبر كل هذه الاشياء فرأى ضيق الموضوع وتفاهتهُ وخطر الخوض فيهِ واقدم بعد كل ذلك عليهِ لا عن هوان تعودهُ فسهل عليهِ بل ثقة بان في الهيئة الحاضرة من يعتبرون الحقيقة وما قالت واملاً بايراد شيء مفيد ولو لم يكن على جانب عظيم من الطلاوة . هذا ولم اتوخَّ في خطابي البحث التاريخي عن السوري ولم المَّ بتفصيل ما كان عليهِ في عهد الفينيقيين والكنعانيين والاراميين والاسرائيليين واليونان والرومان والعرب. ومن شاء ان يطلع على شيء من ذلك فليراجع التواريخ فيرى ما لاينطق بهِ الآن لحرج الموقف وضيق المقام و يقف على ما كانت عليهِ تجارة السوريين وزراعتهم وصناعتهم وامارتهم ومابلغوا من العز والسؤدد وما اوردوا واصدروا وعلموا وعلَّموا وكيف حكموا وحُكموا وبكلمة يرى درجتهم من الحضارة والعمران —احاديث يروقنا سماعها وترقص لها قلوبنا لاننا نرى فيها ما ينطق عن عظمة اسلافنا الغابرين فنتلهَّى بذكر الماضي ولا نمعن الاَّ في محاسنهِ فيشغلنا عن الاهتمام بالحاضر والنظر في تلافي مساويهِ

ولطالما اسمعنا الخطباء والكتاب وصف حالتنا الغابرة وابرزوها بحلة من المعاني وحوك من المباني يعجز عن الاتيان بمثلها الكثيرون حتى اصبح قول بعضهم (بلادنا احسن البقاع تربةً وهواء ... كنا اهل السطوة غير معارضين ... الى آخر ما هنالك) مأثوراً تتناقلهُ الالسن والاقلام

فيا ايها العاقلون ما الفائدة من ذكر الغابر اذا كان يزيد الصدر ضيقاً والنفس كمداً . وما لنا وللماضي ولا مردَّ لهُ . ولمَ نغفل النظر في الحاضر وحسن المستقبل فيهِ . ماذا ينفعنا التباهي بالجدود واصلُ الفتى ما قد حصل. كفانا تبجُّحاً بذكر الماضي والمباهاة بالسلف فنحن في عصر لا يطول فيهِ رواج البضائع المستعارة ولا تفلح فيهِ الآراء المتقلبة ولا ينفع فيهِ الانقياد الاعمى

سبق القول ان مدار الكلام الليلة سيكون على السوري ابن القرن التاسع عشر وما بعدهُ لا ابن القرون الخوالي . وقد اتخذت الموضوع على اطلاقهِ لأُلمَّ بكل مهم من اطرافهِ واظهر السوري في مظهر مجمل تبين فيهِ محاسنهُ ومساويهِ فاحلُّ عنهُ اللوم من جهة واكربهُ من اخرى حتى ينجلي المرمى الذي اتوخاهُ وما هو الاَّ نبيل ان شاء الله

السوري ابن القرن التاسع عشر غريب الاطوار والصفات . ترى فيهِ ما يدل على تسلسلهِ من الشعوب السامية ممزوجاً بما اكتسبهُ قديماً وحديثاً من مخالطتهِ الشعوب الآرية فهو ديِّن بالطبع يخاف الله حذِرٌ زكن مقراءٌ يكرم الضيف قنوع يميل الى الدعة والراحة ومقدامٌ عند

الحاجةَ قادر على الكد والعمل يأبى الهوان ويضرب في الآفاق تعيشاً . فلو تيسر لهُ والحالات هذه ان يتربي التربية العلميَّة ويتهذَّب التهذيب الصحيح ويفسح لقواهُ العقلية مجالاً تظهر فيهِ لنال السبقة في كل ميدان وادهش الاقران بمقدرتهِ ومآتيهِ

ولمَّا اصبح السوري منذ الربع الاخير من القرن الماضي الى الآن حلف الاسفار والتغرب والمخاطرة حتى قال فيهِ احد الشعراء المصريين

يضيق على السوري رحبُ بلادهِ   فيركبُ للاهوالِ ما هو راكبهْ

فلقي الغيور على الوطنيةّ وخاف الدائب في جمع الكلمة وتأفف القيمون على مصالح البلاد لانهم رأوا في انتزاحهِ ضياع الوطنيَّة وتفريق الكلمة وتأخراً في الزراعة والصناعة والتوالد . ثم قام ولاة الامور وشدَّدوا الاوامر على طالبي الانتزاح وضيقوا في وجوههم سبل السفر وتهددوهم بالعقوبات وعاقبوهم ولكنهم كانوا كأنهم يضربون في حديد بارد فواظب السوري على السفر والتغرب وطلب الرزق تحت كل جو من جواء المعمور واصبح السوريون اشتاتاً بين كل امة ولسان حتى كأن نبوة الكتاب شملت الاسرائيليين والسوريين ولا غرو فكلاهما من الاصل السامي

وكان الانتزاح بادئ بدء يتناول السوري الذي ضاقت عليهِ موارد الرزق وتهددهُ الاملاق وما زال كذلك حتى كثر عدد الشبان المتخرجين في المدارس العالية الحاصلين على درجات التهذيب الواقفين على حقوق الواجبات وواجبات الحقوق المتأهلين لتولي المناصب ومعاطاة الاعمال فحرجت عن استيعابهم البلاد لا بل حرجت صدورهم هم عن البقاء فيها وليس لهم من المصالح ما يكفل لهم حسن المعيشة وهناء البال . فسافروا مع من سافر ودأبوا مع مَن دأب وجروا مع من جرى وتوظفوا مع من توظف ودرسوا مع مَن درس وكانت النتيجة انهم سبقوا من جاراهم حتى صار واحدنا يتوق الى السفر تشبهاً بالكرام الذين سبقوهُ ولسان حالهِ ينشد

بلادي لا ارى فيكِ الاقامه   لمن يهوى التعزز والكرامه
فان ازمعتُ عنك البين يوماً   فقولي لي ترافقكَ السلامه
ابينُ ولا جفاً فيكونُ بيني   مواصلةً تطولُ بلا سآمه
ابينُ ورسمك المحبوبُ يبقى   على لوح الفؤاد الى القيامه
اريد لكِ العلى حتى تصيري   على وجنات هذى الارض شامه
اريد الحق ان يمسي حليفاً   لارباب المكانة والزعامه
اريد العلمَ ان يجري عيوناً   فيشفي كلنا منهُ أُوامه

اريد النور ان يمتدَّ فينا فينسخ من تعصبنا ظلامه
اريد اريد ان تفدى بلاد بها تجلى الجلالة والفخامه
وان طالتْ نوايَ فلا تقولي نآني ثم لم يحفظ ذمامه
فنفسي حيثما امضي اراها بسوريَّا العزيزةِ مستهامه
أأنسى جوَّك الصافي ومنهُ كسبت صفاء شعري وانسجامه
فكم راقبتُ فيهِ البدر يجري ولا كدرٌ هناك ولا غمامه
وصنّينُ القديمُ تحوطتهُ غييماتٌ فكانت كالعمامه
وبحر الروم منبسطُ المحيَّا يحيي البدرَ اذ لاقى تمامه
مظاهرُ تبهجُ الصبَّ المعنَّى وتذكرهُ بسلمى او بمامه
فيجلو بعضها عنهُ شجاهُ ولكن بعضها يذكي غرامه
وكم احييتُ ساعات طوالاً افكّر في الحياة المستضامه
وكان بجانبي خلٌّ انيس يماشيني ويمحضني وئامه
يبادلني المنى ويقول صبرًا سيرضى دهرنا ونرى ابتسامه

ذريني يا بلادي للتنائي فلا حرجٌ عليَّ ولا ملامه
اسير الى اقاصي الارض وحدي اذا لم تحلُ لي فيكِ الاقامه
لقد غرستْ يمينُك بي طباعاً لها من كل مكرمةٍ دعامه
عزيز النفس التقي كل صعبٍ ويُقلقني الطفيفُ من الظلامه
يهون عليَّ ان القى المنايا ولا القى من الغرِّ احتكامه
يهون عليَّ ان اسعى لرزقي وليس عليَّ الاَّ طاق خامه
ولا من يجتني سعيي اعتباطا وليس بطاقتي الشكوى امامه

ولا مراء ان انتزاح السوري كان باديء بدء بحكم الاضطرار وكلما كان بحكم الاضطرار لا يوجه عليهِ اللوم والتفنيد . وعندي (ان كان لي عند) ان هذا الانتزاح سيطول امرهُ الى ما شاء الله ويعم الكثيرين كما هو مشاهد في ايامنا الحاضرة ولا ينقص معدلهُ الاَّ اذا استغنت البلاد وكثرت فيها موارد الرزق والتعيش وهذا ما لا يعيِّن زمانهُ الاَّ من بيديهِ ملكوت السموات والارض

اذًا سافر ايها السوري النشيط ما استطعت الى السفر سبيلاً وانزح الى اية بلاد اردت على شرط ان تضع نصب عينيك سوريا العزيزة بجبالها وحزونها وهضابها وبطاحها وعيونها

وانهارها واشجارها واثمارها وتحنُّ الى شمسها وقمرها ونجومها وتذكرصيفها وخريفها وشتاءها وربيعها وتشوق الى مسقط راسك الى العود الى مرابع طفولتك وصبوتك وفتوتك الى مقام اهلك وذوي قرابتك . ومتى يسَّر لك الله رزقًا واحرزت من تغربك مالاً يسهل لك المعيشة في قومك فعد الى بلادك مكللاً بالفوز والنجاح حاملاً اليها الاختبارات المفيدة وعش فيها واسعَ لتعزيزها فانها في اشد الحاجة اليك ولا تفلح الاَّ بك وبامثالك من رجال المال والاعمال

واما ما ينادي بهِ بعض اهل الدين من ترك المال وترك السعي لهُ فانما يعنون بهِ شدة الولوع بالمال وتضحية قوى النفس جملة لمجرد تحصيلهِ واذخارهِ والاَّ ان كانوا يعنون ترك السعي لتحصيل المال الذي هو خير الذرائع لترقية البلاد فلا شك انهم يتعسفون في اقوالهم تعسفًا والآخذون بكلامهم مخدوعون او مخادعون

فيا ايها السوري يا من يتشكى من ضيق الاحوال ولسان حالهِ يقول

"ايشتكي الفقر غادينا ورائحنا ونحن نمشي على ارض من الذهبِ"

دع التشكي من الاحوال واعتقد بحكم بعضهم ان الرجال تُوجِد الاحوال وجدَّ وادأبْ وأتم لنفسك حالاً خاصة واملأها بالحركات ومتى ابطلت الحركة فليكن لسكون الليل واسترجاع القوى بالراحة والنوم واذكر ان الامانة اس النجاح فاتخذها مبدأً راسخًا في اعمالك ومعاملاتك وانا الكفيل لك بحسن الحال وانفراج الضيق

ومن نكد الطالع ان سوريا واقعة في نقطة متوسطة بين الامم التي تغلبت على المعمور بحيث يسهل الوصول اليها والجلاء عنها فكان كلما قويت شوكة قائد شرقيها او غربيها يزحف عليها ويجتاحها وينكل باهلها ثم يضرب عليهم الجزية ويرتحل وهكذا تغلب عليها الاشوريون والبابليون والفرس والمصريون واليونان والرومان والعرب وانتابتها الحروب وثارت فيها الفتن ومع هذا كلهِ حافظ اهلها على لغاتهم وعوائدهم ولم تقوَ امة من الامم الغالبة على ابتلاعهم وتجنيسهم بجنسيتها وما زالوا كذلك حتى ظهرت الدعوة الاسلامية في بلاد العرب وجمعت كلمة القبائل هناك فاندفعوا يفتحون البلدان ويخضعونها حتى افتتحوا سوريا مع ما افتتحوا ونشروا فيها اللغة العربية فامتدت وتأصلت وامتصت اللغات التي كانت شائعة على الالسن آنئذٍ في اقل من قرن وذلك لانها كانت لغة الامة الفاتحة وبنت عم اللغات الأُخر . فامتلك السوريون بتوحيد لغتهم قوة عظيمة من قوى الارتقاء الجنسي

فنحن والحمد لله قوم لهم لغة من اوسع اللغات واتقنها حتى قال فيها استاذ كبير من احدى مدارس اميركا الجامعة انهُ اذا كان من حق لغة ما ان تعيش وتنتشر وتعم المعمور لجودتها

واتقان مشتقاتها بحيث يمكن التعبير بها عن كل معنى دقيق فتلك اللغة هي العربية

ولنا شيء من العصبية ولا ينكر علينا احد اننا اهل سعي وجد ولكن يؤخذ علينا امور كثيرة منها ميلنا الى الترف رجالاً ونساء فقد تشبهنا بالاوربيين في انفاقهم ولم نتعلم منهم طرق الاقتصاد . ومنها ميلنا الى اللهو وقضاء الوقت الثمين في ما لا يجدي فترى الجماعات منا مجتمعين يلعبون بالورق او بالطاولة والزهر او يلهون بالاحاديث الفارغة . ومنها خوفنا من المجاهرة بالحق والتجاؤنا الى المجاملة والاطراء . ومنها التعصب المذهبي الراسخ في نفوسنا حتى غلبت الجامعات الدينية على كل جامعة جنسية او وطنية ولو في الذين لا يفكرون في مطالب الدين يوماً في حياتهم. ولو كان لنا دين واحد لما كان في الامر بأس ولكن لنا اديان كثيرة ومذاهب عديدة ففرقت بيننا الجامعات الدينية اشد تفريق

فاذا تغلبنا على هذه النقائص فابعدنا عن الترف ولم نعد نخشى ان نظهر فقراء ولم نعد نتظاهر بالغنى اذا كنا فقراء واعتدنا طرق الاقتصاد وعرفنا قيمة الوقت حتى صرنا نحرص عليهِ حرص البخيل على درهمهِ لا ننفقهُ جزافاً ولا نقتلهُ مجادلة ومساومة او تلهياً بما لا يجدي . واذا صرنا نجاهر بالحق ولا نخدع الحاكم بالاطراء ولو كان لا يستحق الا اللوم وفوق الكل اذا نزعنا التعصب الديني وحسبنا الناس كلهم اخواناً متساوين ولا يتفاضلون بالتعصُّب المذهبي بل بالاعمال الصالحة وصرنا نأبى الاصغاء الى كلام الاب او الام او الشيخ او القسيس اذا كنا نرى فيهِ تلوياً عن جادة الحق واجحافاً بحقوق الانسانية وتفريقاً في الجامعة الوطنية واضعافاً للهيئة الاجتماعية — اذا صرنا كذلك حق لنا ان ندعى امة من الامم الراقية مراقي النجاح

بقي عليَّ كلمة خاتمة وهي ان البلاد لا تقوى لها قائمة الاَّ بانتشار التعليم والتهذيب على الاصول الصحيحة التي توسع دائرة العقل والتصور وتعوّد الانسان على العمل والاكتساب . ولا ينتشر التعليم بدون انتشار المدارس ولا تنتشر المدارس بدون اقبال الناس عليها ولا يقبل الناس على المدارس ما لم يتبجحوا ويرغد غيشهم . وطالما نرى التعليم مقصوراً على الافراد القليلين وليس سوى حفظ مفردات لغوية وحقائق تاريخية او اتقان التكلم بلغة اوربية فما هو بالتعليم المفيد واضرارهُ في بلادنا اكثر من منافعهِ . اجارنا الله من كل من يزيد في تفريق كلمتنا ويعمل على اضعاف جنسيتنا

بولس الخولي

الامير فخر الدين المعني

(تابع ما قبلهُ)

مرّت اربع سنوات والامير فخر الدين يترضّى رجال الدولة بالهدايا والاموال فيقرونهُ في ولاية لبنان ويَستعينون بهِ على مَن ناوأهم من الولاة او يترضّاهم غيره من مناظريهِ فيتغيرون عليهِ ويولونهم على اطراف ولايتهِ او يرسلون الجيوش للايقاع بهِ الى ان كانت سنة ١٦٢٤ فتعهد وكيلهُ في الاستانة لباب الدولة بمئتي الف ذهب اذا تولى مولاهُ كل ولايات عربستان من حدود حلب الى حدود القدس فصدر الفرمان السلطاني بذلك منعماً على الامير بلقب سلطان البر الذي احرزهُ جدهُ فخر الدين الاول بانعام السلطان سليم . وجاء سلحدار السلطان بالفرمان العالي فالتقاهُ الامير بموكب عظيم واكرمهُ بثلاثة آلاف ذهب وادّى الميئتي الف ذهب التي تعهّد بها وكيلهُ لباب الدولة ثم حشد اربعة عشر الفاً من العسكر وزحف بهم من بيروت الى البترون فعكار وهنالك طالب يوسف باشا سيفا بالخمسين الفاً التي اخذ صكها من عمر باشا فادّاها يوسف باشا سريعاً فرحل الامير الى جبله فقدّم اهلها لهُ عشرين الفاً ونفقات العسكر مدى ثلاثة ايام اقامها عندهم ومضى من هناك الى جسر الشغر فوافاهُ اليهِ والي حلب وقدّم لهُ ثلاثين الفاً ذهباً والتمس منهُ تأمين الاهلين فاجابهُ على ان يؤدي جزية النصارى فلما ارتضى الوالي بعث الى حلب بعضاً من اعوانهِ لجبايتها

فيستفاد من هذا ان فخر الدين تولى زعامة الولاة ايضاً وان حلباً ودمشق والقدس من ضمن حكومتهِ الاّ ان تشرشل يقول في كتابهِ عن جبل لبنان ان ولايتهُ كانت على الجبال من حلب الى اورشليم اما جزية النصارى فليس لدينا من نبإٍ عن مقدارها الاّ ما ذكرهُ ڤولناي من انها لم تكن مما يدخل في حساب الالتزام بل تُرسل الى بيت المال رأساً ومعنى هذا ان الدولة العلية كانت تفرض على الولاة مالاً مقرراً ولم تكن الجزية التي يسمونها الخراج من الجملة فكان الوالي يوزع الاقطار على من يوليهِ الحكومات ببدلٍ مسمّى والدولة لا تعرف الاّ الوالي مسئولاً لديها بما عليهِ من المال كما ان الوالي يطالب الحكام كلاًّ بما عليهِ . واما مقدار الخراج فقد ذكر ڤولناي انهُ ثلاثة غروش وخمسة واحد عشر ولم يكن يلتزم باداءِ موارنة لبنان ولا دروزهُ ولا النصيرية . وحسب ڤولناي عدد النصارى المضروب عليهم الخراج مئة وخمسين الفاً وعدّل ضريبتهم ستة غروش فالجملة تسعمائة الف قرش

ولما استوفى فخر الدين جزية النصارى في حلب اتجه صوب حماه ونادى بالامان فقدّم

اهلها لهُ خمسين الفاً ثم شنَّ الغارة على عرب الموالي وطالبهم بنفقات عسكرهِ فاطاعهُ الامير مدلج الحياري وخالفهُ عرب الامير فياض فاغار عليهم فانفصلوا عن الموالي واوغلوا في القفر فطاردهم ثلاثاً وعشرين يوماً حتى عبروا النهرين فعاد عنهم واتى طرابلس وجمع نفقة لعسكرهِ من بلادها ثم امر ببناء قلعتين الواحدة تجاه حلب والاخرى فوق انطاكية ووضع فيهما عسكراً وزحف صوب بعلبك ففرَّ الحرافشة مشرِّقين فاطلق الامان للاهلين فاتوهُ مسلمين متعهدين بخمسة واربعين الف غرش وامر بمرمَّة قلعة بعلبك واقام فيها حامية وبنى قلعةً في قب الياس وسلمها لجماعةٍ من عسكرهِ وقصد وادي التيم فالتقاهُ الامير احمد الشهابي بالاكرام وقدم لهُ نفقة عسكرهِ وجاءهُ اليها بعض المشارقة وجعلوا على انفسهم ضريبة سنوية سموها رميةً ثم اتى حاصبيا فرحّب بهِ الامير علي الشهابي وقدم لهُ نفقةً وامر احد رجالهِ المسمى البكباشي احمد الكجك ان يلبث في وادي التيم حتى يقبض عشرين الف غرش خدمةً من الامير علي الشهابي ثم شرع يرمّ قلعة بانياس ويبني في صرخد

وفي غضون ذلك حدث غلاءٌ في دمشق فارسل الدماشقة يشكون حالهم للامير ويستغيثون بهِ فارسل اليهم اربعة آلاف جملٍ تحمل غلالاً ثم جمع جمال حوران ودوابها وامر اصحابها ان ينقلوا القمح الى دمشق وامر ان يباع رطل الخبز بقطعتين ولما اتى مرجة دمشق خرج اليها كل الاهلين كباراً وصغاراً يشكرونهُ ويدعون لهُ . ثم استخدم الفاً من الانكجارية وطلب من كبراء البلد جزية النصارى الذين عندهم فاجابوهُ الى ذلك وارتحل عنهم الى قب الياس فدير القمر وشرع يرمّ اسوارها وامر فبني حصنٌ في المسيلحة

ولما رجع احمد الكجك من وادي التيم امر الامير بمحاسبتهِ فاستاء وخرج من خدمتهِ مغاضباً فذهب الى اسلامبول وخدم في باب الدولة وكان مقتدراً فارتقى وما كرَّ عليهِ الزمن حتى صار وزيراً ولكن علياءهُ لم تبعدهُ عن الحقد على الامير بل ظلَّ ينفث ضدهُ سم الوشاية والسعاية حتى اوغر عليهِ صدور رجال الدولة

فما مرَّ يرى اللبيب ان فخر الدين نال اقصى امانيّ نفسهِ اذ اصبح وهو الحاكم الاعلى في بر الشام واليهِ مرجع امورها وقد اعتلى قنة المجد فلم يبقَ لهُ من منازع في طول البلاد وعرضها لان مناظريهِ رأوهُ قد نال رضا الدولة فزاد بذلك منعةً وحولاً وغنًى ويساراً . ومن تمام حظهِ ان توفي يوسف باشا سيفا الذي ناصبهُ العداء طويلاً فزحف من بعلبك الى طرابلس عن طريق بشري واسرف في الفتك بالاهلين واباح نهب المدينة اربعين يوماً ثم شرع يرمّ الحصون ويبني المعاقل والقلاع ويزيد في الاذخار وحشد المال وتكتيب الرجال ومواثقة الكبراء

ورأى تهافت الناس على اعظامهِ وسمع اقوال الشعراء فيهِ فنفخته الكبرياء وليس بعيداً ان يكون عتوه قد حمل بعض المنكرين عليهِ من نظرائهِ او دفع الولاة المخلصين الذين في جوارهِ الى رفع تشكياتهم لابواب الدولة فوافق قولهم ما عرضهُ احمد الكجك من الشكاوي حتى رأى ارباب الحل والعقد ما اوجسوا منهُ خيفةً على البلاد لاسيما وانهُ استكثر من التحصين والتجهيز فتحفز للزحف عليهِ خليل باشا الصدر الاعظم سنة ١٦٢٦ وقدم حلبا بالعسكر السلطاني فلما سمع الامير ارسل عبد الله البكباشي اليهِ يعده بمالٍ جزيل وبتسليم قلاع الحصن وصافيتا وسلمية وشميمس والمرقب

هذا ما رواهُ العلاَّمة الدويهي غير ان من قرأ تاريخ السلطنة العثمانية في تلك الاونة يتضح له ان خليل باشا لم يقصد محاربة المعنيين وانما زحف لقتال الفرس سنة ١٦٢٦ فلعلَّ مرور جيشهِ على تخوم بر الشام حمل الامير فخر الدين على ارسال عبد الله البكباشي بالهدية اليهِ جرياً على عادتهِ مع الوزراء وامراء الجيوش

ولقد مرَّ بنا ان احمد الكجك ارتقى في خدمة الدولة والذي علمنا انهُ احرز رتبة بكلربك وعين والياً للشام سنة ١٠٣٩ هـ المعادلة لسنة ١٦٢٩ ثم عُزل عنها وعاد اليها سنة ١٠٤٢ هـ وفي صدرهِ على فخر الدين اشياء المعنا اليها فرأى على ما يُظن ان الامير لم ينثنِ عن الترميم والتحصين بل زاد في الابهة حتى بنى برج الكشاف في بيروت وخاناً للوحوش تمثلاً بالسلطان وشق عصا الطاعة واخذ كثيراً من القلاع من ضواحي دمشق وتصرَّف في ثلاثين حصناً وجمع من طائفة السكمان جمعاً عظيماً وبالجملة فقد بلغ مبلغاً لم يبقَ بعده الاَّ دعوى السلطنة وذلك ما قالهُ المحبي وزاد المرادي ان بلغ عدد جيشهِ مئة الف. رأى الكجك ذلك فرفع الامر لباب الدولة وهو عارفٌ بما كان عليهِ السلطان مراد الرابع من البطش الذريع بمن يوجس منهُ خوفاً وانهُ لم يبقِ في طول السلطنة وعرضها من يخالف له امراً او يشذ عن سبيلٍ يرضيهِ فكيف يغض الطرف عن اميرٍ بلغت بهِ الجرأة حداً شبَّ بهِ عن طوقهِ. وقد نُقل عن الامير على ما روى جوانين انهُ كان ميالاً للدين المسيحي بل يُبطنهُ ويظهر الاسلام وانهُ اقتدى بالافرنج في اخلاقهم وعوائدهم لا يخشى نكيراً بين قومٍ لم يألفوا الاَّ عادات الآباء والجدود. وقال غير هذا المؤرخ انهُ ابتنى قصراً في بيروت بعد عودتهِ من ايطاليا وزينهُ بمثل ما تحلَّى بهِ قصور هاتيك الديار من التماثيل والصور. كل ذلك زاد في طين تهمهِ بلَّةً وذكَّر ارباب الامر بما كان من محالفتهِ البنادقة والتجائهِ الى بلادهم فحاكت هذه الامور جميعها في صدر السلطان حتى اذا بلغت شكوى الكجك مسامعهُ صدرت له الاوامر بقتاله فبعث يستفز نوالي باشا والي حلب

وحكام طرابلس وغزة والقدس ونابلس واللجا وعجلون وحمص وحماه . وجمع اعيان العلماء وكبراء العسكر في دمشق وقرأ عليهم الاوامر السلطانية فقابلها جميعهم بالطاعة وباشروا الاهبة وشرع امراء الاطراف يفدون الشام واحداً بعد آخر حتى اجتمع لفيفهم فخرج بهم سنة ١٠٤٣ (١٦٣٣) ثم استفز الامراء عليًّا اليمني وحسين سيفا ومحمداً وحسين الحرفوش فلما جاؤُه ولّى كلاً منهم على بلادهِ . وبلغ فخر الدين ذلك فجمع رجالهُ فبلغت عدتهم ستة وعشرين الفاً ولكنهُ فرّقهم فاخطأ في تدبيرهِ ذلك انهُ ارسل ستة آلاف مع ابنهِ عليّ الى عجلون وثلاثة آلاف مع ابنهِ حسين للتحصن في قلعة المرقب وثلاثة آلاف اخرى الى بانياس

وفي ابّان هذه الازمة وازورار الناس من الامير واحجامهم عن نجدتهِ وتلكوء حلفائهِ وظهور احقاد خصومهِ وقع في بلاد عجلون خلاف وقتال بين العرب وآل طرباي فاتهم الامير علي المعني بذلك ووقعت الشحناء فالنفرة والقتال فاضطرّ ان يرحل الى بانياس

وعلم احمد باشا الكجك ان الشهابيين يحتشدون في وادي التيم فارسل عليهم فريقاً من رجالهِ يبلغون الثمانية آلاف فخافهم الاهلون وفروا هاربين فاحرق العسكر حاصبيا وبعض القرى ونزل في صحراء الخان الجديد فلما علم الامير علي نهض من بانياس واسرع الكرة فادرك عسكر الكجك ليلاً بالف مقاتل واشتبك الحرب حتى الصباح فاصابت عليًّا طعنة رمح القتهُ على الارض ولم يكن القوم عارفين بمن جرحوا الاَّ ان جنديًّا من اهل دمشق كان من قبل في خدمتهِ فمرّ عليهِ وهو جريح فنزل ليجزّ رأسهُ فعرفهُ الامير وقال لهُ خلصني ولك عليّ من المال ما تريد فقال لهُ ان بقاءك بعد هذه الجراح محالٌ ثم قطع رأسهُ واتى مخيّم احمد باشا فدخل عليهِ وهو نائم فنبههُ خدمهُ الموكلون بهِ ولما افاق قبّل يديهِ ووضع الرأس قدامهُ وقال لهُ هذا رأس رئيس القوم فلم يصدقهُ حتى جاء مَن عرفهُ وحقق لهُ الامر وضربت البشائر وارسل الباشا رأس الامير علي الى دمشق في جملةٍ من الرؤُوس وادخلوها على اسنة الرماح وجهزوها بعد ايام الى الابواب السلطانية

ثم جاء جعفر باشا بالاسطول السلطاني الى طرابلس فتحفز آل سيفا وجاءوا برجالهم الى بيروت فجاءها الاسطول ايضاً ثم ارسل الباشا عسكراً الى المرقب فاستولى على قلعتها واسر الامير حسين بن فخر الدين وبعث بهِ الى خليل باشا في حلب

اما الكجك فدسّ للشوفيين قولهُ اني انا كسرت وانا اجبر انظروا كم تؤدون لمولانا السلطان خدمةً وخرج عسكرٍ وبعد ذلك أُولي عليكم من تختارون من ابناء فخر الدين واردّ العسكر عنكم فانطلى محالهُ على القوم وذهبوا الى الامير يسألونهُ الاجابة فقال لو دفعتم لهُ عشرين كرةً لما افادكم شيئاً ولكني ادفع المال لئلاَّ اذا تمنعتُ تقولون لو ارتضى الامير لما وقع علينا حيف

ثم اتفقوا مع الكجك على مئة الف غرش خدمةً للسلطان وخمسين الفاً للكجك وعلى احضار احد ابناء الامير ليتولى مكان ابيهِ فاتوهُ بالامير حسن اصغر بنيهِ فطيَّب قلبهُ وخلع عليهِ واتخذهُ كولدٍ لهُ فبدأ القوم يوردون المال حتى اذا استوفاه وقد علم ان عسكر الامير انفضَّ من حولهِ ولذلك فهو عازم على التحصن في قلعة ثيرون امر بقتل ابنهِ حسن وزحف بجيشهِ الى الشوف فارهقهُ وقتل كثيرين من الاهلين وولَّى عليهِ الامير علي علم الدين اليمني ثم حطَّ الحصار على قلعة ثيرون التي اختبأ فيها فخر الدين واحضر النقابين والقطاعين وامر ان يقطعوا صخرها من فوق الى تحت وكان ارتفاعهُ ثلاثين ذراعاً وافسد ماء عين الحلقوم التي اجراها الامير الى القلعة تحت الارض وذلك بروث البهائم وبالدماء ومعى الحيوان وكان للقلعة اسكف ورفرف من خشب متى رفعت تعذَّر الدخول اليها فكان الفعلة يقطعون الصخر الاعلى والعسكر يرفع الاحجار والكجك ينهض هممهم بالحث والعمل معهم كل ذلك على عزف الموسيقى وضرب الطبول في الليل والنهار حتى اقتربت اصوات الناقبين من سمع الامير وراى الخطر وشيكاً فتدلى من القلعة مع بنيهِ الثلاث ومدبرهِ ابي نادر الخازن وبعض رجالهِ وسترهم ظلام الليل عن العيون حتى اتوا مغارة جزين اما حفظة القلعة فانهم استأمنوا الكجك في الصباح فاطلقهم واستولى علي ما فيها من الذخائر وانتقل من هناك الى مغارة جزين وهو لا يدري ان فخر الدين مقيم فيها فعزم ان يترك بعضاً من عسكرهِ على حصارها وان يعود الى دمشق لاقتراب فصل الشتاء فحدث ان في تلك الليلة نزل احد مماليك الامير يتجسس الاخبار فقُبض عليهِ وجيء بهِ الى الكجك فسألهُ عن الامير فاجابهُ انهُ في المغارة ففي الحال امر بتشديد الحصار عليها واستحضر الفعلة ليلغموها من الاسفل فاشتغلوا حتى صاروا على مسمعٍ من القوم فنادوهم وانذروهم بوشك وضع اللغم ان لم يسلموا فلما يئس الامير من النجاة استأمن ومن حولهُ من رجالهِ فامر الباشا بحراستهِ واولادهِ منصور وحيدر وبلك الذين اسروا معهُ. ومما يؤخذ على المرادي انهُ غلط في روايتهِ ان اثنين فقط من ابناء الامير سلما معهُ وكذلك اخطأ بتسمية احدهما مسعوداً وانهُ قتل مع ابيهِ وبتسمية الآخر حسيناً والرواية التي اعتمدناها اصحّ لان حسيناً اسر عند فتح المرقب كما مرَّ

وكتب احمد باشا يستنزل الامير يونس اخا فخر الدين عن دير القمر على امانهِ فجاءهُ الى صيداء ومعهُ ابناهُ ملحم وحمدان فلما صاروا في حوزتهِ قال للامير يونس كم تدفع من المال فداءً عنك وعن ابنيك فاطلقكم آمنين لانهُ لم يصدر بكم امرٌ سلطاني فوعدهُ الامير بمال جزيل لكنهُ قال ان المال مخبأٌ فاطلق واحداً منّا يجيءُ بهِ اليك فاطلق الامير ملحماً فسار بهِ بعض الشوفيين

الى عجلون نزيلاً على امراء آل طرباي فلما علم الكجك بذلك حسبها خدعةً من الامير يونس فحبسهُ مع ابنهِ حمدان وعذبهما حتى ماتا ثم نهض الى الشام فاستصحب معهُ اسراهُ فدخل دمشق بموكبٍ عظيم وفخر الدين مقيد على فرسٍ خلفهُ فانطلقت السن الشعراء في مدحهِ كما انطلقت من قبل بمدح الامير فمما قال الامير المنجكي

وجاءنا بابن معنٍ بعد ما قُطعت صم الصخور عليهِ وهو معتزلُ
لم تغنِ عنهُ الحصون البيض اذ طلعت سود الزرايا عليهِ اليوم والقللُ
ولا الدلاص ولا ذاك الرصاص ولا تلك الجياد ولا العسَّالة الذبلُ
ولا من العرب من كانت جرائرهُ تأتي عليهم ولا الكتَّاب والرسلُ

وبعد ايام جهز الكجك رجلاً من اعوانهِ في امرة سريةٍ من الفرسان وبعثهم الى اسلامبول يخفرون الامير فخر الدين وبنيهِ اليها الاَّ ان تشرشل يقول ان الامير لما أُسر أُرسل من غير تأخير الى جعفر باشا امير الاسطول فوضعهُ ومن معهُ في احدى البوارج وسافر بهم الى الاستانة غير ان هذه الرواية تخالف نص المحبي وما روى من الشعر والله اعلم

وفوق هذا فقد ذكر الرحَّالتان ميشو وبوجولا في الجزء الخامس من كتابهما في الرسائل المشرقية صفحة ٥١٨ ان فخر الدين كان قد ملأَ ميناء صيداء بالحجارة والتراب ليمنع اقتراب سفن الاسطول العثماني منها الاَّ انهُ يظهر ان ذلك لم يمنع تردد الاسطول اليها مدى زمن فخر الدين وبعدهُ. ثم طلب من آل طرباي ان يسلموا الامير ملحماً الملتجئ اليهم ففعلوا فلما سار بهِ جماعة الوزير باتوا في خان الشيخ ففرَّ من على سطوح الخان واختبأَ تحت معبر ماءٍ قريب من الخان حتى رجع الجند من التفتيش عنهُ فخرج من مخبإهِ وسار الى قرية عرنا في جبل الشيخ واختبأَ فيها

ووصل الامير فخر الدين وبنوهُ الى اسلامبول والسلطان يومئذٍ في اسكدار على ما قال المرادي فأُمر بهِ فسجن واخذ ولداهُ الى غلطه سراي وبعد حين حظي فخر الدين بشرف المثول لدى حضرة السلطان فاحتجَّ عن نفسهِ قائلاً اني ما جمعت الرجال الاَّ باوامر الوزراء والنواب ولا قتلت الاَّ العصاة على مولانا السلطان والقلاع التي فتحتها كانت للعصاة والتي بنيتها لدفع الاعداء وانما مهدت طريق الحج ومنعت العربان عن التعدي واديت الاموال الاميرية وايدت الاحكام الشرعية. فسرَّ السلطان بحجتهِ وعفا عنهُ وعن اولادهِ ولما رجع خليل باشا من حلب اصحب معهُ الامير حسيناً الذي أُسر من المرقب فاحبهُ واقامهُ في خدمتهِ

اما الامير علي علم الدين اليمني الذي تولى الشوف فقد قبض على بعض وجهاء المعنيين

وقتلهم وسلب مقتنياتهم وذهب الى عبيه ففتك بالامراء التنوخيين ولم يبقِ منهم ذكرًا فهاج القوم من فعالهِ واكبروها واستنفروا الامير ملحماً بن يونس المعني من مخبإهِ في عرنا حتى اجتمع اليهِ بعض المعنيين فنهض بهم الى الشوف فتقاطر اليهِ المريدون فزحف على الامير علي فجاءهُ هذا بجماعة من عسكر الشام وفيهم كتخدا احمد باشا فواقعهم فوق مجدل معوش وظفر بهم وقتل منهم عددًا من الرجال وفي جملتهم كاخية الباشا وانهزم على علم الدين الى طرابلس ومنها الى الشام. وقدم على الامير ملحم الامير عساف سيفا واتفق معهُ على قتال علي سيفا واما علي اليمني فعاد معززًا بجند الشام فقبض على اربعمائة من رجال العرقوب وقتلهم عن آخرهم مخافتهُ الحوازنة والجبشيَّة ونزحوا من كسروان فنهض الامير ملحم وطردهُ وحاربهُ في مواقع جمة ظفر بها كلها فجدَّد احمد باشا الكجك الشكوى الى اسلامبول مدعياً ان اعمال الامير ملحم كانت بايعاز عمهِ فخر الدين وروى جوانين انهُ نسب اليهِ نهب صور وبيروت وصيداء وعكاء فحنق السلطان من فخر الدين اذ صدَّق الوشاية فيهِ فاصدر امرهُ بقتلهِ وقتل اولادهِ فقتلوا جميعاً في ٣ نيسان سنة ١٦٣٤ ولم يبقَ من ابناء فخر الدين الاَّ الامير حسين لانهُ كان في حمى خليل باشا

وممَّا ورد عن مقتل الامراء قول المرادي ان في شهر شوال سنة ١٠٤٣ امر السلطان وزيرهُ بيرام باشا بقتل فخر الدين فاخذهُ الوزير من حبس البستانجي باشي الى تجاه محل الوحوش المسمى ارسلان خان ورمى رقبتهُ ثم طرح جثتهُ في آت ميدان وانهُ قتل ابنهُ مسعودًا خنقاً لانهُ راشد وطرح جثتهُ في البحر

الاَّ انَّ سنة ١٠٤٣ هـ تعادل سنة ١٦٣٣ م والمتفق عليهِ ان قتل فخر الدين كان سنة ١٦٣٤ والدليل على هذا ظاهر من قول العلاَّمة الدويهي ان زحف الكجك لقتالهِ كان في شهر ايلول سنة ١٦٣٣ وبما انهُ قُتل في نيسان فمن الضروريّ ان يكون ذلك سنة ١٦٣٤ وليس سنة ١٦٣٥ كما قال جوانين

ولا يصحّ بنا ان نبخس فخر الدين حقهُ من الوصف فقد كان شجاعاً باسلاً شهدت لهُ فعالهُ بعلو النفس وطموحها الى العلياء فترى صاحب اخبار الاعيان يذكر من اقدام الامير ما يشهد لهُ بالبسالة واقتحام الاخطار غير متهيّبٍ ولكم لهُ من وقعةٍ كان جيشهُ فيها على وشك الادبار فعاد بصولتهِ ظافرًا وناهيك بما رواهُ من ان احمد باشا الكجك كان يخشى شجاعتهُ لما رأى من فعالهِ وكأنَّ الشجاعة كانت حلية هذه الاسرة فقد ذكر المحبي اثناء كلامهِ عن مقتل علي بن فخر الدين انهُ لم يعلم احدٌ ان الامير علي بينهم ولو علموا لما ثبت احد لكبر صيتهِ

ومع ان فخر لدين كان فتاكاً باعدائهِ لم يكن كالكثيرين من رجال الحرب الذين لا تأخذهم

الرأفة بالمسالمين والضعاف بل كان يؤاسي المحتاجين ويبرهم ألا تراهُ كيف نهض لاعانة الدماشقة يومَ مسهّم الجوع وكيف كان يقدم على اسعاف المستغيثين بهِ ولو ادَّى بهِ اسعافهم الى القتال وناهيك بهِ من رجل علَّمهُ التسود في لبنان ان يتخذ من النصارى انصارًا واعوانًا وان يحكم فيهم بالقسط ولا يحيف عليهم في شيء حتى استراحوا في ايامهِ وآمنوا وعمروا الكنائس والاديار وطاب لدعاة الدين حتى من الافرنج السكنى في لبنان ولعلَّ هذا التساهل هو ما حمل السعاة بهِ على رميهِ بالتنصر والمروق من دين آبائهِ

وقد وصفهُ تشرشل بالنشاط والاقدام والذكاء وانهُ لو وافقتهُ الاحوال لاحسن الى قومهِ وقال ان عقلهُ كان كبيرًا وفيهِ حلمٌ يحبب اليهِ قومهُ ويجعلهُ موضع ثقتهم وانهُ لما فوضت الحكومة اليهِ الولاية سعى جهدهُ في مصلحة بلادهِ وعامل الناس بالمساواة والعدل

وكانت لهُ مشاركة في الادب بدليل بيتين من الشعر قالهما فيهِ عطاء الله المسلموني المصري وهما

يراعك ان ابكيتهُ ضحك الندى　　　وعضبك ان اضحكتهُ بكت العدى
فسيمة هذاك اعتدى قطُّ رأسهِ　　　وسيمة هذا قطع رأس من اعتدى

وكأني بهِ اراد نشر المعارف بين قومهِ اهتمامًا بشؤونهم اذ ورد انهُ اقترح على المطران جرجس ابن عميرة الاهدني وضع كتابٍ في هندسة البناء باللغة العربية فالَّفهُ ولكننا لسنا على بينةٍ من ان الامير اراد بوضع هذا الكتاب افادة الناس والاَّ لاقترح على علماء ذلك العصر وادبائهِ تأليف كتبٍ اخرى اكثر فائدةً لوطنهِ من الهندسة لان هذي من الكماليات وقبل الاضطرار اليها درجات من الحاجيات وانما يغلب على الظن انهُ اراد الكتاب ليتخذهُ دستورًا في تشييد بناياتهِ من قصورٍ ودور ومعاقل وحسبك ما ذكرنا من اكثارهِ من بناء القلاع وترميم قديمها ولعل قصرهُ الذي بناهُ في بيروت مضارعًا لقصور مضيفيهِ آل مديشي في ايطاليا كان عقيب تأليف هذا الكتاب على ان مؤلفهُ كان من متخرجي مدرسة رومة العظمى والظاهر مما أثر المؤرخون ان اهتمام فخر الدين بالبناء لم يكن مقصورًا على بيروت ودير القمر بل عمَّ مواضع اخرى فمنها القصر البديع الذي شادهُ قرب صيداء وبقي بعد عينهِ اثرٌ نوَّهَ بذكرهِ الرحالتان الفرنساويان ميشود و بوجولا في كتابهما(1)

ولهُ في صيداء ايضًا خان منسوب اليهِ هو اعظم خاناتها وكان يأوي اليهِ الفرنساويون الذين نزلوا في صيداء في تلك الايام للتجارة ومنهم دارڤيو D'Arvieux. قنصلهم المشهور بمؤلفهِ عن احوال البلاد

(1) Michaud et Paujolat; correspon. d'Orient, Vol. VII, page 331.

اما ما زعمهُ دارقيو وڤولناي ولامرتين وتشرشل وغيرهم من ان فخر الدين غرس غاب الصنوبر في ضاحية بيروت فلاصحة لهُ بدليل ما آثرهُ العلاَّمة المطران يوسف الدبس في كتاب سفر الاخبار (ص ٢٥) عن رحلة المنسنيوز ميسلن وما حققهُ الاب لامنس في السنة الاولى من مجلة المشرق صفحة ٩٣٩ من ورود ذكر هذا الغاب في القصيدة الثانية والاربعين من قصائد الشاعر اليوناني نتوس الذي نبغ في القرن الرابع للميلاد ومن ذكرهِ في جغرافيا الشريف الادريسي المتوفى في الربع الاخير من القرن الثاني عشر ومن التنويه بهِ في مؤَلف وليم الصوري وصالح بن يحيي التنوخي صاحب تاريخ بيروت كل ذلك يدل على وجود الغاب قبل زمن فخر الدين ويحمل على الظن بانهُ ربما كان ذلك الامير قد بذل في حفظهِ شيئًا من عنايتهِ او زاد على اغراسهِ بعضًا في المواضع الخالية كما فعلت الحكومة المصرية في زمانها

فجديرٌ بمن كانت هذه صفاتهُ من الامراء ان تزدحم على بابهِ الشعراء وان يمدحوهُ بمختارات القصائد فقد اثر المحبي انهُ اطلع على مجموعةٍ من الشعر تبلغ المئة صفحة قيلت كلها في مديحهِ

ولما ضُبطت املاك فخر الدين انعم السلطان بها على احمد باشا الكجك فشرع هذا ينقب عنها ويبحث عن انصار المعنيين لينكل بهم فاختفى كثيرون من الكبراء حتى لم يستطع اساقفة الطائفة المارونيَّة ان يجتمعوا في اليوم التاسع لوفاة البطريرك يوحنا مخلوف الاهدني على مألوف عادتهم

جرجي يني

منزلة الشعر من التاريخ

﴿٣٦﴾ الطلاق

وكانت سنَّة الطلاق معروفة في الجاهلية قال زيد بن عمرو بن نفيل

تلك عرساي تنطقان على عمـ ـدٍ الى اليوم قول زورٍ وهترٍ (١)
سالتاني الطلاقَ ان رأَتا ما لي قليلاً قد جئتماني بنكرِ

وقال عبدالله بن العجلان

طلقت هندًا طائعًا فندمت عند طلاقِها
فالعين تذرف دمعة كالدرّ من آماقِها
خود رداح عفة ما الفحش من اخلاقِها

(١) الكذب

وكانوا في الجاهلية يطلقون المرأة ثلاثاً حتى تبين عن زوجها فلا يعود لهُ رجوع اليها فكان الرجل متى اراد طلاق امرأتهِ قال لها انت طالق واحدة فيكون حينئذٍ احق الناس بها فان طلقها اثنتين فكذلك فان طلقها ثلاثاً كان لا سبيل لهُ عليها

وكان الاعشى قد تزوج امرأة ثم احب اهلها خلعها منهُ فتهددوهُ ان لم يطلقها فقال

ايا جارتا بيني فانكِ طالقه كذاك امور الناس غادٍ وطارقه

فقالوا ثَنِّ فقال

وبيني فان البين خير من العصا وَالَّا تزال فوق رأسيَ بارقه

فقالوا لهُ ثلّث فقال

وبيني حصان الفرج غير ذميمة وموموقة فينا كذاك ووامقه

ولنا ان نستنتج مما قدمناهُ ما يأتي (اولاً) ان امر الطلاق كان بيد الرجال ولكنَّ النساء كنَّ قادرات على طلبهِ من رجالهنَّ (ثانياً) ان الرجل كان لهُ ان يطلّق لغير علَّة (ثالثاً) ان الرجل كان يتزوج باكثر من امرأة. على ان من تتبع منثور الكلام والحديث يجد على ما ذكرناهُ زيادات

﴿٣٧﴾ تزوج الرجل امرأة ابيهِ

وكان بعض العرب يتزوجون نساء ابائهم قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي

فلولا اخوتي وبنيَّ منها ملأت لها بذي شطب يميني

وقال زيد بن عمرو بن نفيل مشيراً الى الخطَّاب والد الامام عمر

واخي ابن امي ثم عمـ ـي لا يؤاتيني خطابهْ

وقولهُ هذا يدلُّ على ان اباهُ اخذ امرأة جدهِ فجاء هو اي زيد اخاً لعمهِ وزيد بن عمرو بن نفيل قرشي فهو من الحجاز وعمرو بن معدي كرب زبيدي فهو من اليمن فيكون الزواج بنساء الآباء وارداً في تاريخ الحجازيين واليمنيين وبالتالي في تاريخ القحطانيين والعدنانيين. نقول وارداً ولانقول جائزاً عندهم جميعاً لما بين الوقوع والعرف من الافتراق فقد ذهب معظم من فسَّر قول عنترة

يا شاة ما قنصٍ لمن حلَّت لهُ حَرُمت عليَّ وليتها لم تحرَم

الى ان اباهُ كان قد تزوج بها فحرمت عليهِ. وكان من خلف اباهُ على امرأتهِ سمي ضيزناً. ونستنتج من قول اوس بن حجر

والفارسيَّة فيهم غير منكرةٍ فكلهم لابيهِ ضيزن سلف

ان هذه العادة اتت الى بعضهم من جوارهم لفارس وانها ليست بمحمودة لان العرب كانوا راغبين عن عادات الامم الاخرى

وللزواج وللعائلة في عصر الجاهلية بحث طويل ربما افردتُ لهُ مقالة خاصّة لان تمحيص هذا البحث يحتاج الى الاستشهاد بما ليس بشعر وهو خروج عما تابعتهُ في هذا المقالة (منزلة الشعر من التاريخ)

﴿٣٨﴾ الانفَال

وكان الظافر في القتال يبتدر بعد تبديد شمل العدو الى جمع الاسلاب فينزع عن القتلى ماعليهم من الثياب والاسلحة . قال عمرو بن ثعلبة في رسالة لهُ الى الملك عمرو بن هند

ان ابن عجزة امهِ بالسفح اسفل من اوارهْ (٢)
تسفي الرياح خلال كشـ حيهِ وقـد سلبوا ازارهْ (٣)

وكان زعيم القوم هو الذي يقسم السلب بينهم قال عنترة

ونشرتُ رايات المذلة فوقهم وقسمت سلبهم لكل غضنفرِ

وكانت قسمة السلب انفالاً قال عنترة ايضاً

انَّا اذا حمس الوغى نروي القنا ونعفُّ عند تقاسم الانفالِ

وكانت الانفال ليست سواءً ولذلك شكا العباس بن مرداس حينما قسمت الانفال بين جماعة كان منهم العباس وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس فاخذ اربعين واخذ كل من عيينة والاقرع مئة فقال

اتجعل نهبي ونهب العبيـ ـد بين عيينة والاقرعِ
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمعِ
وما كنتُ دون امرئٍ منهما ومن تضع اليوم لا يرفعِ

﴿٣٩﴾ رقة النعل

واتخذوا رقة النعل دليل السعة واليسار بل دليل سمو الشأن قال النابغة الذبياني

رقاق النعال طيّب حجزاتهم يحيُّون بالريحان يوم السباسب (٤)

---

(٢) العجزة آخر ولد الرجل او آخر ولد المرأة واوارة محل

(٣) سفت الريح الشيء ذرتهُ والمراد هنا انها تهب في خلال كشحهِ

(٤) قال القتيبي : "رقاق النعال اراد انهم ملوك لا يخصفون نعالهم . والحجزة الوسط اراد انهم يشدون ازرهم على عفة ويوم السباسب يوم الشعانين وهو يوم عيد عند النصارى" آه عن شرح ديوان النابغة

وقال الفرزدق

بنو هاشم قومي ترى حجزاتهم عتاقًا حواشيها رقاقًا نعالُهـا
يجرون هداب اليماني كأنهم سيوف جلا الاطباع عنها صقالُها

كما استحسنوا التلسين قال كثير عزة يمدح بني امية

اشم من الفادين في كل حلَّة يميسون في صبغ من العَصْبِ متقنِ (٥)
لهم ازُر حمر الحواشي بطونها باقدامهم في الحضرمي الملسَّنِ (٦)

وقال ايضًا

اذا حلل العَصْبِ اليماني اجادها اكفُّ اساتيذ على النسج درَّبِ
اتاهم بها الجاني فراحوا عليهم توائم من فضفاضهنَّ المكعَّبِ (٧)
لها طرر تحت البنائق اذ نبت الى مرهفات الحضرمي المعقربِ (٨)

وهذه الاقوال حجة على ان من العرب من كان يستجيد ارسال الذيول في لباس الرجال وقد فاتنا ذكر ذلك في باب اللباس

وجاء لعنترة العبسي في معلقتهِ

بطل كأنَّ ثيابهُ في سرحةٍ يحذَى نعال السبت ليس بتوأمِ

فقال الشراح انهُ اراد بكونهِ يحذى نعال السبت انهُ ملك او شريف والسبت الجلد اللين او جلد البقر المدبوغ بالقرَظ

﴿٤٠﴾ المواثيق

وكانت العرب اوفى الناس ذمة واصدقهم عهدًا واخاءً قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقدًا لجارهمِ شدُّوا العناج وشدُّوا فوقهُ الكربا (٩)

وذكر النابغة الذبياني حلف قومهِ فقال

فلتأتينْك قصائد وليدفعنْ جيشًا اليك قوادم الاكوارِ (١٠)

---

(٥) العصب ضرب من البرود

(٦) الحضرمي النعل المنسوبة الى حضرموت · والملسن الذي جعل طرفهُ كطرف اللسان

(٧) الفضفاض الواسع · والمكعب المربع

(٨) البنائق جمع بنقة وهي لبنة القميص · والمعقرب المعوج

(٩) العناج ان تثقل الدلو فيعقد تحتها حبل ثم يشدُّ الى الرسن والى العراقي وهي الخشبات الاربع والكرب الحبل الذي يشدُّ فوق العراقي · وفي هذا القول استعارة تمثيلية وهو مثل ضربهُ يريد انهم اذا عقدوا عقدًا لجارهم احكموهُ

(١٠) قوادم جمع قادمة وهي مقدمة الرحيل والاكوار جمع كور وهو الرحل

رهط ابن كوز محقبي ادراعهم فيهم ورهط ربيعة بن حذارِ (١)
ولرهط حرَّاب وقدّ سورة في المجد ليس غرابها بمطارِ (٢)
وبنو قعين لا محالة انهم آتوك غير مقلمي الاظفارِ (٣)

ثم يذكر بني سواة وبني جذيمة والفاضريين وبني دودان وبني بغيض (٤) وقال انهم كلهم حلف واحد

فوجود المواثيق بين القبائل والاحياء دليل على وجودها بين الملوك ايضاً بل قد ورد في خلال شعر النابغة ان ملوك الاقوام هم الذين كانوا يعقدون المواثيق اذ يقول

وبنو سواة زائروك بوفدهم جيشاً يقودهم ابو المظفارِ

وابو المظفار كان ملكاً في قومهِ

﴿ ٤١ ﴾ بياض الوجه

كانوا يعتبرون البياض لون السادة لعدم تعرُّضهم للشمس قال امرؤُ القيس الكندي

ثياب بني عوف طهارى نقية واوجههم بيض المسافرِ غُرَّانُ (٥)

وقال حسان بن ثابت في مديح الملوك آل جفنة

بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الاوَّلِ

وهذا البحث كثير الشواهد فاكتفي منهُ بما ذكر . انتهى امين ظاهر خير الله

الملاريا في حلوان

ليس المراد من هذه السطور ان اشغل بال القراء بما يولد فيهم الاوهام ويحملهم على الظن ان جو حلوان الذي اشتهر بالصفاء وجودة الهواء قد اكفهرَّ بغيوم الامراض لاني اعتقد مثل غيري ان حلوان لا تزال البلد الذي يضرب بهِ المثل في حسن الموقع وجودة الهواء . وانما المراد تنبيه الافكار وتوجيه النظر الى مسألة علميَّة . فارجو ان لا تحمل مقالتي هذه الاَّ على هذا المحمل . ولا ريب عندي ان كل لبيب يقول معي انهُ أيسر للانسان ان يعرف العدو

(١) كوز من بني مالك بن ثعلبة وربيعة بن حذار من بني سعد · والمحقبون ادراعهم هم المتخذوها كالحقائب
(٢) وحراب وقد من اسد · وسورة في المجد اي اعتلاء · ليس غرابهم بمطار كناية عن الخصب وكثرة الخير
(٣) و بنو قعين حي من اسد · وغير مقلمي الاظفار اي مسلحين
(٤) و بنو دودان والفاضريون من اسد و بنوجذيمة من كلب بغيض ابو عبس وذبيان
(٥) اراد بالثياب الاعراض · ومسافر الوجه ما يظهر منهُ والغران جمع اغر وهو هنا الحسن

المجاور لهُ ويتقي شرهُ بابادتهِ من ان يفتك بهِ ذلك العدو من حيث يدري ولا يدري

لما جاء الاستاذ كوخ الشهير هذه الديار منذ اعوام قال انهُ وجد في حلوان الحيوان المسبب للحمى الاجميَّة (الملاريا) وهذا الحيوان يدعى بلاسموديوم ملاريي (Plasmodium Malariæ). فاخذ بعد ذلك اهل العلم في البحث والتنقيب ليتحققوا بانفسهم صحة ما قالهُ الاستاذ كوخ وبقي بعضهم مثابرين على هذا العمل زمناً طويلاً ولكن على غير طائل لانهم لم يعثروا على ذلك الحيوان فاعتقدوا ان حلوان خالية من الملاريا وان الذين يصابون بهذا الداء في المدينة يأتون بهِ من الخارج . وقد اطلعت في هذه الايام الاخيرة على مقالة في جريدة نمسوية يحاول كاتبها ان يثبت ان الملاريا غير موجودة في حلوان ومن ادلتهِ على ذلك انهُ اقام زمناً فيها فلم يعثر على بعوضة واحدة من الجنس المعروف بالانوفيل (Anophele) اي ناقل الحمى رغماً عن كثرة ابحاثهِ فأنا وان كنت لا اشك في صحة ما قالهُ الاستاذ المذكور لا يسعني الآ الاقرار بوجود الحمى الاجميَّة في حلوان فالاستاذ لا ينفي وجود بعوض الانوفيل في حلوان وانما يقول انهُ لم يعثر عليهِ . ثم ان هذا الاستاذ جاء مصر وبحث في حلوان عن ذلك البعوض في فصل الشتاء ولا يخفى انهُ في هذا الفصل يتناقص عدد بعوض الانوفيل وبالتالي يتناقص عدد الاصابات بالحمى الملارية والامر يكون بالضد من ذلك في فصلي الصيف والخريف وذلك ما يحصل في كل بلاد تحدث فيها الحمى الملارية . ففي فشوده مثلاً ترى ان الحمى الملارية تنتشر على اختلاف شدتها وانواعها في فصلي الصيف والخريف حيث يكثر وقوع المطر وتفيض الخيران والبرك وتتكون المستنقعات ولكن متى دخل الشتاء يتناقص عدد الاصابات كثيرًا . وسبب ذلك ان البعوض الانوفيل الذي يجلب الحمى يتناقص عددهُ كثيرًا في فصل الشتاء الى درجة يعسر معها وجود بعوضة واحدة من ذلك النوع عند السد قبلي فشوده في اوائل دسمبر . فاذا كان الامر كذلك اي ان عدد البعوض يتناقص في فشوده نفسها المشهورة بكثرة الحميات الملارية الى الدرجة التي ذكرتها فلا عجب اذا كان الاستاذ النمسوي لم يعثر على بعوضة من ذلك النوع في حلوان وفي فصل الشتاء . واليك الآن ما دلني عليهِ الاختبار مدة اقامتي في حلوان

في ١٤ اغسطس ١٩٠٣ اتاني رجل يقطن عزبة حلوان منذ زمن لاعالجهُ من حمى اصابتهُ فلما فحصتهُ وجدت انهُ مصاب بحمى الغب اي الحمى الملارية التي تعتري المريض يوماً بعد يوم فلم تسمح لي الاحوال بالبحث في دمهِ بحثاً ميكروسكوبياً ولكنني عالجتهُ بمضادات الحمى الملارية فشفي وفي ٢٦ اغسطس جاءني رجل آخر يشكو نفس العلة وهو ايضاً يقطن حلوان منذ سنين عديدة وقد قال لي انهُ لم يصب بمرض آخر من قبل فلما فحصتهُ وجدت فيهِ اعراض الملاريا

فحصت دمهُ ميكروسكوبيًّا فوجدت فيهِ الحييوين المسبب لحمى الغب الذي لا شبهة فيهِ فدعاني ذلك الى البحث عن البعوض الانوفيل ناقل الحمى وبعد ايام عثرت على بعوضة في البيت الذي يقطنهُ المريض واقفة وقفة عمردية تقريبًا بحيث انها تكوّن مع الحائط شبه زاوية قائمة فالتقطت تلك البعوضة وتأملتها فاذا بها من نوع الانوفيل فذهبت بها الى صديقي الدكتور اوربان وهو كثير الاهتمام بهذا البحث ففحصها ايضًا بكل دقة وامعان ووافقني على انها من نوع الانوفيل بلا شك وعثرت بعد ايام على بعوضة ثانية من النوع نفسهِ ولكن هذه البعوضة كانت ذكرًا لا انثى

ولما اخبرت صديقي الدكتور اوربان باني وجدت في دم المريض حييوين الملاريا اظهر رغبتهُ في مشاهدة ذلك الحييوين فوعدتهُ باجابة سؤَالهِ متى عثرت على حادثة اخرى. وفي ٢٩ سبتمبر اتتني مريضة تقطن حلوان منذ ثماني سنوات لاعالجها من حمى تصيبها يومًا بعد يوم فاخذت نقطة من دمها ونظرتها بالميكرسكوب فوجدت فيهِ الملاريا فارسلت من دمها الى صديقي المذكور فتحقق وجود ذلك الحييوين كما تحققتهُ فاعطيت المريضة ٢٥ قمحة كينا وذلك كان كافيًا لايقاف سير المرض او تخفيفهِ على الاقل لو اخذ عدة ساعات قبل ظهور الدور ولكنني اعطيت الكينا للمريضة صباحًا ظنًّا مني ان الدور سيحصل الساعة الثانية بعد الظهر فلم يصح ظني لان الدور غيَّر مواعيدهُ فصار يتقدم و يظهر في الصباح ولذلك لم تؤَثر الكينا في الدور الاول ولكنها اثرت في الدور الثاني الذي لم يحدث في ميعادهِ فبحثت في الدم فوجدت حييوين الملاريا في الطور الاول من نموهِ

وفي اليوم الثالث من شهر اكتوبر الجاري ارسل اليَّ حضرة الدكتور صفوت مريضًا كان يشخص مرضهُ بحمى الملاريا فبحثت في دمهِ فوجدت فيهِ حييوين الملاريا مما يثبت تشخيص حضرة الدكتور صفوت وهذا المريض ايضًا يقطن حلوان منذ سنين عديدة وقد اخبرني الدكتور المذكور انهُ شاهد حوادث اخرى كثيرة من الملاريا في حلوان ولاسيما في الجهة الغربية الجنوبية

وخلاصة القول ان الحمى الملارية موجودة في حلوان وهي من نوع حمى الغب التي تأتي يومًا بعد يوم وان البعوض الانوفيل الناقل لهذه الحمى موجود ايضًا في ذلك البلد وهذا امر طبيعي اذ لا بد لكل معلول من علة وعثوري على حييوين الملاريا والبعوض الناقل لذلك الحييوين لم يحدث في حلوان امرًا جديدًا لان الحمى الملارية موجودة في حلوان من قبل

الدكتور يوسف ابكاريوس

من متخرجي المدرسة الطبية الجراحية

الملكية في انكلترا

المادَّة واحدث المذاهب فيها

من خطبة للسر اوليفر لدج تلاها في مدرسة أكسفرد الجامعة تذكارًا للاستاذ رومانس

يبحث الفلاسفة عن حقيقة المادَّة من وجوه كثيرة واستُ عازمًا ان اتكلَّم عنها الآن من وجهٍ فلسفي بل قد عُرِفت حديثًا امور عن جواهر المادة او عمَّا كان يسمَّى بالجوهر الفرد وهي ممَّا يلذ العلم بهِ سواءٌ ثبتت اخيرًا او لم تثبت فاخترتها موضوعًا لهذه الخطبة التي اتلوها عليكم تذكارًا لرجل لو كان حيًّا الآن لاشتغل عقلهُ بهذا البحث الجديد ولم يعفهُ ولو كان بعضهُ من قبيل الظنون

قلتُ ان بعضهُ من قبيل الظنون ولم اقل كلهُ لان البعض الآخر تحققهُ جمهور العلماء الباحثين الذين لهم القول الفصل في هذه المباحث . ولذلك ساقسم الامور التي اتوخَّى ذكرها الى قسمين قسم حققهُ العلماء واثبتوهُ بحسب معارفهم الحاضرة وقسم لا يزال في معرض الفرْض او الظن . وسأُطلق على القسم الاول اسم القضايا وعلى الثاني اسم الفروض

والقضية الاولى من هذه القضايا ان في الكهربائية اخص خواص المادة اي الجرم والاستمرار (١) فاذا قلنا درهمًا من الكهربائية او قنطارًا منها فقولنا هذا غير بعيد عن الحقيقة ولو كان بعيدًا عن المألوف .لكن لا يكون للكهربائية جرم يُشعر بهِ الَّا اذا كانت كثيرة جدًّا او كثيفة جدًّا وهي تضيع في المادة الَّا اذا كانت المادة صغيرة جدًّا اصغر من ان ترى بالميكرسكوب وكانت هي (اي الكهربائية) كثيفة جدًّا

وجرم الامتلاء الكهربائي واستمرارهُ يتوقفان على مقدار الكهربائية التي فيهِ وفعلها . فاذا امكن جمع مقدار كبير من الامتلاء الكهربائي في كرة صغيرة جدًّا امكن ان تزيد قوتهُ الى اي حد اريد ما لم يبلغ حدًّا يستحيل فيهِ ان تزاد الكهربائية فوقهُ

القضية الثانية بسيطة جدًّا وقد علمت من عهد فاراداي وزادت ثبوتًا ووضوحًا على توالي الايام وهي ان كل جوهر من جواهر المادة يستطيع ان يتحد بمقدار محدود من الكهربائية او بمقدارين او بثلاثة مقادير وهلمَّ جرًّا ولكن لا يستطيع ان يتحِد بنصف مقدار ولا بمقدار ونصف ولا بكسر من المقدار مهما كان . فكأَن هذا المقدار جوهر فرد من الكهربائية لا يمكن تجزئتهُ وتقاس نسبة الامتلاء الكهربائي الى وزن الجوهر المادي بالتدقيق في الحل الكهربائي

(١) يراد بالجرم في عرف علماء الطبيعة مادة الجسم وبالاستمرار عدم استطاعتهِ من تلقاء نفسهِ على الحركة اذا كان ساكنًا وعلى السكون اذا كان متحركًا

بحسب القوانين المعروفة بقوانين فراداي . وقد عُلم جرم الجوهر المادي فيعلم مقدار الكهربائية الذي يمكن ان يتحد بهِ وذلك كلهُ بالتقريب لا بالتدقيق

القضية الثالثة . لقد وجد جمسن طمسن سنة ١٨٨١ ما يدلُّ على ان الامتلاء الكهربائي الذي يتحد عادة بجوهر واحد من جواهر المادة اذا اجتمع على نقطة كروية قطرها جزء من مئة الف جزء من جرم الجوهر الفرد كان منهُ جرم يعادل جزءا من الف جزء من جوهر الهيدروجين الذي هو اخف جواهر المواد المعروفة

وقد أُطلق على هذا المقدار المتكاثف من الكهربائية اسم "الالكترون" وضعهُ لهُ الدكتور جنصتن ستوني واراد بهِ الجوهر الفرد من الكهربائية او اصغر جزء من اجزاء الامتلاء الكهربائي . ففي كل امتلاء كهربائي عدد محدود من هذه الالكترونات . ولا يوجد كسر من الالكترون على ما يعلم حتى الآن ولو حكماً . فما تكهرب الجوهر الفرد من جواهر المادَّة سوى اضافة الكترون اليهِ . او نزعهُ منهُ فاذا زادت كهربائية الجوهر الكتروناً سمي ايوناً ايجابياً وهو الذي كان يقال عنهُ قبلاً انهُ مكهرب بالكهربائية السلبية . واذا نقصت كهربائية الجوهر الكتروناً سمي ايوناً سلبياً وهو الذي كان يقال قبلاً انهُ مكهرب بالكهربائية الايجابية . فالكهربائية السلبية زيادة في كهربائية الجسم والايجابية نقص فيها

والايون اي الجوهر المكهرب ينتقل من جهة الى اخرى من نفسهِ بالكهربائية التي فيهِ . والسائلات والغازات تنقل الكهربائية بواسطة جواهرها المكهربة . فان هذه الجواهر تتحرك بسبب ما بينها من الالفة فالمكهربة ايجابياً تذهب كلها في جهة والمكهربة سلبياً تذهب في جهة اخرى . وفي كل نوع من المادة سرعة خاصَّة بما فيها من الايونات اي الجواهر التي زادت كهربائيتها او نقصت وبحسب السائل التي تجري فيهِ فكأن الجوهر مركبةٌ والكهربائية فرس يجرها . والسرعة قليلة في السائلات ولكنها شديدة في الغازات لقلَّة ما تجدهُ فيها من المقاومة . وقد اشتقوا من الايون فعل أَيْوَنَ يريدون بهِ توليد الايون فقالوا ان اشعة رنتجن تؤَيْوِن الهواء اذا مرَّت فيهِ فيصير موصلاً للكهربائية

وقد قويت الادلَّة على ان جرم الالكترون يعادل جزءا من الف جزء من جرم جوهر الهيدروجين ولو كان الالكترون كهربائيةً لا غير لكان حجمهُ جزءا من مئة الف جزء من قطر الجوهر الفرد . فواضح من ذلك ان جواهر المادَّة اكبر جدًّا من جواهر الكهربائية التي تتصل بها فاذا كان قطر الجوهر الفرد من جواهر المادة الف متر فقطر الالكترون اي الجوهر الفرد من جواهر الكهربائية سنتيمتر واحد . واذا كان حجم الجوهر الفرد من جواهر المادة مثل

حجم هذا النادي فحجم الالكترون اي جوهر الكهربائية مثل حجم نقطة الباء. والالكترونات التي في الجوهر الفرد بعيدة بعضها عن بعض بعداً شاسعاً جداً ونسبة اجرامها الى ابعادها كنسبة الكواكب الى الابعاد التي بينها

القضية الرابعة — ان هذه الالكترونات او الجواهر الكهربائية يمكن ان تقوم بذاتها اي يمكن فصلها عن الجواهر المادية في السائلات والغازات ومتى انفصلت جرت من القطب السلبي بسرعة فائقة جداً لانهُ لا يبقى شيء يعوقها عن الجري. واذا كانت جارية في غاز لطيف جداً فهي ما يسمى بالاشعة السلبية وهي التي درسها هتفورد وكروكس ولنارد وغيرهم في الانابيب المفرغة من الهواء وعُلم الآن انها تنبعث من مواد كثيرة . واذا أُوقفت في سيرها تولَّد منها اشعة اكس التي اكتشفها رنتجن . وقد ظُنَّ اولاً ان هذه الاشعة مؤلفة من جواهر مادية لكن اقتدارها على نفوذ الاجسام جعل هذا الظن بعيداً عن التصديق حتى اضطرَّ كروكس ان يقول انها حالة رابعة من حالات المادة أَلطف من الحالة الغازية . ولا شبهة في انها تفعل فعل المادة المتحركة فتدير الاطارات الدقيقة اذا وقعت على فراشها وتحمي البلاتين الى درجة الحمرة وتؤَثر في مقياس الكهربائيَّة وتخرق الصفائح المعدنية الدقيقة وتفعل بما وراءها من الالواح الفوتوغرافية ولكن نفوذها ليس مثل نفوذ اشعة رنتجن

خامساً قد ثبت ان الالكترونات تنبعث من كل جسم تكهرب بالكهربائية السلبية ولاسيما من المعادن المكهربة سلباً اذا وُضعت في النور الذي وراء البنفسجي من الطيف . واذا اصابت الهواء أَيونَتهُ مدة وجعلتهُ موصلاً للكهربائية . وقد قاس العلماء الطبيعيون جرم الالكترون على اساليب مختلفة وقاسوا سرعتهُ فكانت النتيجة واحدة فهو شيء محدود يمكن قياس جرمهِ وقياس سرعتهِ بالضبط وقد قام مقام الجوهر الفرد او الجزء الذي لا يتجزأُ وثبت انهُ يخرج من الجوهر الفرد فينفصل عنهُ وتبقى فيهِ خواص الجوهر الفرد . وترجح الظن الآن بان الجوهر الفرد مؤلف من الكترونات ايجابية وسلبية متحدة معاً ولا شيء فيهِ غير ذلك . واذا زاد عدد الالكترونات التي يتألف منها الجوهر الفرد الكتروناً واحداً او نقص الكتروناً واحداً صار الجوهر ايوناً اي اختلَّت موازنة كهربائيهِ فصارت فعَّالة لانهُ في حال الموازنة يكون مؤلفاً من مقدارين متساويين من الالكترونات الايجابية والسلبية وكل الكترون من النوع الواحد يوازن الكتروناً من النوع الآخر وهي غير متصلة فيهِ لصغرها الفائق بالنسبة اليهِ فكانها فرقتان من الجنود متفرقتان في مملكة واسعة فيقال انهما تحتلاَّنها لان قوتهما منبثة فيها

وفي هذه القضية فرضان الاول ان الالكترون كهربائية محضة لا مادة فيها وهذا الفرض

لم يُجمع عليهِ العلماء بل يذهب بعضهم الى ان في الالكترون نواة مادية والكهربائية متجمعة حولها. لكن تصوُّر الالكترون خالياً من هذه النواة اسهل من تصورهِ والنواة فيهِ. والثاني وجود الالكترون الايجابي كوجود الالكترون السلبي فان الالكترون السلبي يوجد منفرداً يطير من المادة وجرمهُ قدر جزء من الف جزء من جوهر الهيدروجين واما الكترون الايجابي فلم يوجد منفرداً حتى الآن ولذلك يبقى القول بان جواهر المادة مؤلفة من الكترونات سلبية وايجابية مرتبطة معاً فرضاً من الفروض. لكن هذا الفرض معقول جداً وينطبق على ما يعرف من خواص العناصر فيكون في الجوهر الفرد من غاز الهيدروجين ٧٠٠ الكترون مثلاً ٣٥٠ منها مكهربة سلبياً و٣٥٠ مكهربة ايجابياً تتحرك حركات عنيفة تربطها بعضها ببعض حتى يبقى مجموعها في حيز واحد. وفي الجوهر الفرد من الاكسجين ١١٢٠٠ الكترون ومن الصوديوم ١٦٠٠٠ الكترون ومن الباريوم ١٠٠٠٠٠ الكترون ومن الراديوم ١٦٠٠٠٠ الكترون . وتكون العناصر كلها مجاميع نوع واحد من الجواهر او من المادة. ويمكن ان تتألف منها مجاميع اخرى غير المجاميع المعروفة ولكن لا تكون قوة جواهرها متكافئة فلا يثبت اجتماعها بل تتفرق وتزول اما المجاميع التي ثبتت فهي العناصر الكيماوية المعروفة وما هي الأكهربائية في شكل مجاميع مؤلفة من مقادير متساوية من الكهربائية السلبيَّة والايجابية

فاذا ثبت ذلك ثبتت وحدة المادة ووحدة العناصر . الوحدة التي حاول العلماء اثباتها من قديم الزمان الى الآن . واصل هذه المادة ليس مجهولاً كما كان يظن بل معلوم وهو الكهربائيَّة او الامتلاء الكهربائي . وهذا التعليل لا يبيّن ماهيَّة المادة بل يبعدنا خطوة الى الوراء فنصير نسأل ما هي الكهربائيَّة او ما هو الامتلاء الكهربائي وكيف يتألف الالكترون . وما هي علة الفرق بين الكهربائية الايجابية والسلبيَّة وما نسبتهما الى الاثير الذي في الفضاء . وهذه المسائل لا تحل الآن ولكن ستُحلُّ يوماً ما وقد اخذ العلماء يحاولون حلها على ما فيهِ من الصعوبة

هينا انتهي من القسم الاول من خطبتي ولو تلوتها في اول هذه السنة لكان القسم الثاني منها تخيليًّا كلهُ ولكن كُشفت في هذه الاثناء امور جديدة في فرنسا وكندا ترفع كلامي التالي من مقام الظن والتخيُّل الى مقام الامكان والترجيح وتخوّلني ذكر بعض النتائج الفرضيَّة التي تنتج عن حسبان الكهربائيَّة اصلاً للمادة

لقد ثبت من امتحان النور بالمغنطيس ان سببهُ حركة الالكترون السلبي فهو الذي يسبب في الاثير الامواج التي نسميها نوراً. والمرجح الآن انهُ لا يحدث نور الاَّ وتكون الكهربائية سبباً لهُ فاذا تحرَّك الالكترون حركة ارتجاف تولَّد من حركتهِ ما يسمَّى بامواج هرتس التي تستعمل

الآن في تلغراف مركوني . واذا تحرَّك حركة دوَّارة اي دار دورانًا سريعًا تولَّد منهُ نور

وهذا كلهُ من القضايا التي قلتُ ان العلماء تحققوها واجمعوا عليها ومرادي الآن ان اطبقهُ على الفرض الذي فرضناهُ وهو ان الجوهر الفرد مؤَلف كلهُ او بعضهُ من الكترونات متحركة . واذا كانت الالكترونات متحركة فلا بدَّ من ان تؤَثر حركتها في ما حولها فمن اين تأتيها الحركة وكيف تبقى فيها وهي تشع منها دوامًا

من المعلوم ان الاجسام الحارَّة تشعُّ حرارة فتبرد اي ان دقائقها تكون في حالة الحركة فتضعف حركتها رويدًا رويدًا ما لم تأتها حركة جديدة ممَّا حولها . لكن الجوهر الفرد ليس كذلك لانهُ اذا خسر شيئًا من حركتهِ خسر ما هو لازم لقوامهِ فينحل الى الاجزاء المؤَلف منها فهو ليس شيئًا عديم التغيُّر كما كان يظن بل فيهِ ما يدعو الى انحلالهِ وتجزئتهِ الى الالكترونات المؤَلَّف منها . وهذا الفعل بطيءٌ جدًّا ولكنهُ واقع حتمًا لانهُ ما دام الجوهر الفرد مؤَلفًا من دقائق متحركة فلابدَّ من ان تخسر دقائقهُ شيئًا من حركتها رويدًا رويدًا فتختل الموازنة السابقة وتنفصل الدقائق بعضها عن بعض . وقد ثبت ذلك حديثًا بالامتحان فاكتشفهُ الاستاذ بكرل اولاً في عنصري الاورانيوم والثوريوم ثم اكتشفهُ المسيو كوري وزوجتهُ في الراديوم . فظنَّ اولاً ان ما يشعُّ من هذه العناصر من نوع اشعة اكس ثم تبيَّن منهُ الكترونات تنبعث من جواهر هذه العناصر كما تنبعث من القطب السلبي في اناء مفرغ من الهواء او كما تنبعث من القطب السلبي اذا وقع عليهِ النور الذي وراء البنفسجي

ثم اثبت الاستاذ رذرفرد انهُ ينبعث من هذه العناصر ايضًا جواهر مكهربة لكنها ليست صغيرة مثل الالكترون ولا قادرة على نفوذ المواد الكثيفة مثلهُ وهي تؤَيون الهواء الذي تقع عليهِ وكهربائيتها ايجابيَّة وقوتها شديدة وحيثما وقعت ولَّدت حرارة وقد يتولَّد من وقوعها نور كما يتولَّد من وقوع القنابل على صفائح الفولاذ وهي اسرع من القنابل بما لا يقدَّر وتنبعث من الاجسام الشعَّاعة التي مثل الراديوم الى ما شاء الله ثم وجد الاستاذ رذرفرد ان ثقلها الجوهري ليس مثل ثقل الجسم الذي تخرج منهُ بل مثل ثقل الهيدروجين او الهاليوم (١) ومعلوم ان ثقل الراديوم الجوهري ٢٢٥ فاذا خرج منهُ جسم ثقلهُ الجوهري ٢ فلا بدَّ من ان يبقى فيهِ جسم ثقلهُ الجوهري يعادل الفرق بين الثقلين

وقد فحص الجسم الباقي فوجد انهُ طيَّار كالغاز ويمكن وضعهُ في الآنية الزجاجية وهو شعَّاع تشع منهُ دقائق صغيرة من نوعهِ ويبقى منهُ بقية تنبعث منها الالكترونات

(١) [المقتطف] اثبت اخيرًا انها هاليوم

واستنتج الخطيب ان ذلك يدلُّ على تحوُّل العناصر من نوع الى نوع وتركُّب بعضها من بعض وتركُّبها كلها من الكهربائية كما تقدَّم. فالمادَّة دقائق كهربائية مجهزة بقوتي الجذب والدفع تتركب منها الاجسام كلها من شموس السماء الى الهباء المتطاير في الهواء

اتقاء البعوض

لقد ثبت الآن ان البعوض او البرغش او الناموس سمّهِ كما تشاء ان تسمي هو الذي ينقل عدوى الحمى الملارية المعروفة بحمَّى الغب او الدوربة وينقل ايضاً عدوى حمَّى الدنج المعروفة بابي الركب والحمَّى الصفراء الفتاكة الكثيرة الانتشار في اميركا الشمالية والجنوبية

هذا عدا التعب الذي ينال الناس منهُ نياماً كانوا او قعوداً . واذا استؤْصل من بلاد او من مدينة او من حيٍّ زالت معهُ هذه الحميات وزال القلق الذي ينال السكان منهُ . واستئصالهُ من اسهل الامور وهو اسهل من استئصال الفيران والجرذان . ولا يدع الناس الفيران والجرذان تأْكلهم بل يحاربونها بالقطط والمصايد والسموم وما اشبه ولكنهم لا يمدون يداً لمحاربة البعوض

سهرنا البارحة في بيت انفق صاحبهُ على بنائهِ ثلاثة آلاف جنيه وانفق على دهنهِ ونقشهِ خمس مئة جنيه وهو يحسب انهُ افرغ الجهد في اتقانهِ وزخرفتهِ فقضينا نصف الوقت في زجر البعوض والنصف الآخر في مذاكرة الحضور . ولو اطلق صاحب البيت دبرًا من النحل على زوَّارهِ ما عرَّضهم للضرر اكثر ممَّا عرَّضهم ببعوضهِ . ومعلوم انهُ لم يربِّ البعوض لهذه الغاية ولا اطلقهُ على زوَّارهِ عن قصدٍ منهُ لكنَّ خدمهُ تركوا اناءً فيهِ ماءٌ على سطح البيت او في حوشهِ او في مطبخهِ فتولد البعوض منهُ واقلق السكان والزوَّار

الشائع ان البعوض يتولد في الجنائن من اشجارها ورياحينها وكل ما يزرع فيها ولا سيما من شجر الموز . وهذا الاعتقاد راسخ في الاذهان يصعب نزعهُ منها وسببهُ مشاهدة الكثير من البعوض في الجنائن ولاسيما في الصباح والمساء لانهُ يلجأُ الى تحت اشجارها واعشابها اتقاء الرياح التي تعصف بهِ . والواقع انهُ يتولد في الجنائن احياناً كثيرة ولكن ليس من اشجارها ونباتاتها بل من برَك الماء التي تكون فيها او من الماء اذا ركد في آنية مكشوفة بضعة ايام . امَّا النبات نفسهُ فلا يولّد البعوض ولا يمكن ان يتولد حيوان من نبات . ولا يتولد البعوض من الماء تولداً بل تبيض الانثى فيهِ ويخرج من البيض دود صغير وهو المعروف بالعوَم او البراعط

ويسميهِ عامة المصريين علقاً وهو يقيم في الماء بضعة ايام او بضعة عشر يوماً ثم يصير بعوضاً ويطير كما سيجيء

ومن الاوهام الشائعة ايضاً ان البعوض لا يتولد الاَّ في الماء الراكد الآسن . وهذا خطأ فان انثى البعوض تبيض في كل ماء راكد آسناً كان او غير آسن . واذا كان في الماء سمك فالغالب انهُ يأكل كل بيضها ولا يبقي منهُ شيئًا. وهي لا تفضل الماء الآسن لانهُ آسن بل لانهُ راكدٌ غير جارٍ فتستطيع ان تقف عليهِ وتضع بيوضها وتنظمها الواحدة مع الاخرى . واكثر ما يتولَّد في البيوت من وضعهِ بيضهُ في آنية الغسل التي يُترك الماء فيها من اسبوع الى اسبوع كما علمنا بالمشاهدة مرارًا كثيرة

ومنها ان البعوض لا يتولَّد في الماء الملح وهذا خطأ ايضاً فقد شاهدنا عوَمةً في البرك الصغيرة

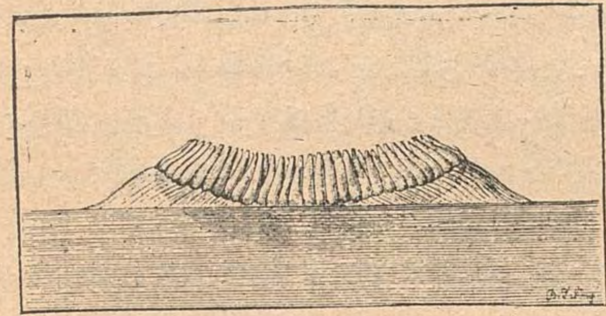

(١) بيوض البعوض على وجه الماء مكبرة

التي على شاطيء البحر حيث يصل ماء البحر احياناً ثم ينحسر ولا يعود يصل الاَّ بعد بضعة ايام

والبعوض ينقل عدوى الحمى من المصاب بها الى السليم باللسع . اي ان البعوضة الانثى تلسع المصاب بالحمى كما تلسع غيرهُ وتمتص قليلاً من دمهِ ويكون في هذا الدم قليل من الجراثيم الصغيرة التي تسبب الحمى ثم تلسع شخصاً سليماً ويمتزج لعابها بدمهِ حيث تلسعهُ لانها تخرج شيئاً من لعابها تمزج بهِ الدم ليسهل عليها امتصاصهُ فيتصل بهِ شيء من جراثيم الحمى ويعدي بها

وطعام البعوض من دم الناس والحيوانات ومن عصارة النباتات الطريَّة والظاهر ان الاناث فقط يمتصصن الدم واما الذكور فلا تقدم على ذلك

وحياة البعوض طويلة اطول مما يظن عادة فقد يحيا السنة كلها صيفاً وشتاء ولو لا الطيور والخفافيش والحشرات التي تأكلهُ والامراض التي تعتريهِ وتميتهُ لملأ الدنيا لكن حياتهُ في

طفوليتهِ اي وهو في الماء قصيرة جدًّا من اسبوع الى اسبوعين وهو معرَّض فيها لاشد المخاطر لان السمك يأْكلهُ وكذلك كثير من الحشرات الكبيرة التي تكون في الماء واذا تحرَّك الماء وهو في الطور الاخير من طفوليتهِ اختنق ومات

وقد شرحنا كيفية تولّد البعوض في الماء غير مرة ولا نرى بأْسًا باعادة الشرح الآن لاننا لا نزال نرى اكثر الذين نكلمهم في هذا الموضوع يجهلون كيفية تولّد البعوض ويجهلون انهُ يتولد في الماء فنقول

البعوض انواع مختلفة ويهمنا منها الآن ثلاثة انواع البعوض العادي الذي اكتشف

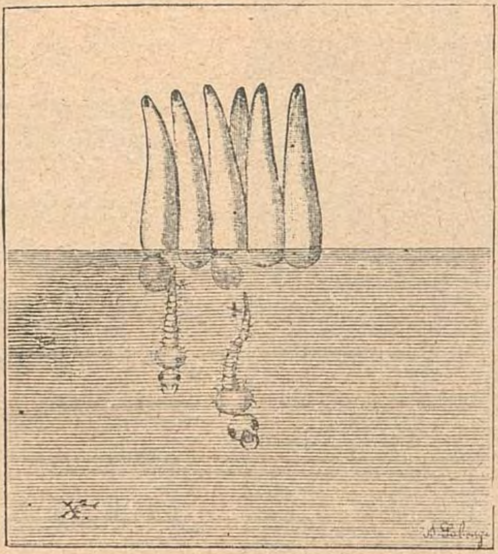

(٢) العوم خارجة من البيض مكبرةً جدًّا

الدكتور غراهم من اساتذة مدرسة بيروت الكلية الاميركية انهُ ينقل عدوى حمَّى الدنج. وبعوض الانوفيل الذي اكتشف الدكتور روس وغيرهُ انهُ ينقل عدوى الحمى الملارية. ونوع ثالث اكتشف العالم اندروود الاميركي انهُ يأْكل ديدان البعوض العادي

والانواع الثلاثة متشابهة شكلاً ولكن يفرق بينها فروق واضحة تميزها بعضها عن بعض كما سيجيء وكلها تتزاوج في الهواء ثم تبيض اناثها في الماء الراكد

فاذا شعرت البعوضة انها حامل وقد حان الوقت لتبيض وتخلف نسلاً ذهبت تفتش عن الآجام والمستنقعات التي فيها ماء اكثر من ان يجف في بضعة ايام واقل من ان يعيش فيهِ

السمك حتى اذا وجدت ما تطلبهُ باضت بيوضها واحدة بعد الاخرى والصقتها بعضها ببعض بمادة صمغية حتى تصير كالقارب . والبيوض صغيرة دقيقة مثل علامة الفتحة في هذا النوع من الحرف او اقصر منها اذا نظرت اليها عن جنب بانت مثل الجسم المرتفع في الشكل الاول وهي مكبَّرة فيهِ اضعافاً كثيرة والماء مرتفع معها من جانبيها . و يبلغ عدد البيوض التي تبيضها البعوضة الواحدة مئة بيضة الى اربع مئة ويكون مجموعها اصغر من فلقة العدسة

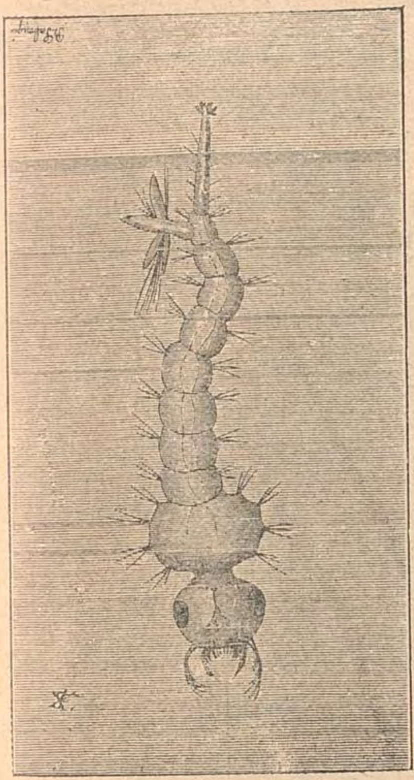

(٢) عومة مكبرة كثيرًا

وبعد يومين او ثلاثة تنفتح افواهُ هذه البيوض وتخرج الديدان او العوَم او العلق منها كما ترى في الشكل الثاني والبيوض والعوَم او الديدان التي فيهِ مكبَّرة جدًّا . وما من احد الاَّ رأى هذه العوَم في الماء الراكد وان لم يكن قد رآها قبلاً فيحسن بهِ ان يضع كاساً من الماء في غرفتهِ ويتركها خمسة ايام او ستة فانهُ يرى فيها حينئذٍ كثيرًا من العوَم الصغيرة وهي تسبح وتتلوَّى وتكبر يوماً بعد يوم . واذا أراد ان يقبض عليها فرَّت من بين اصابعهِ كالزيبق الفرار. لكنها تستحق ان يبذل الجهد في القبض عليها والنظر اليها بالميكرسكوب فاذا قبض على واحدة منها ووضعها في نقطة ماء صغيرة تحت الميكرسكوب رأى لها رأساً مستديرًا وعينين سوداوين وصدرًا ضخماً وبدنًا كثير المفاصل تنتأ منهُ اهلاب كالشعر

ترى في الشكل الثالث صورة عومة من عوم البعوض الاعتيادي وقد بلغت اشدها وطولها حينئذٍ نحو سنتيمتر ولذلك فالعومة المرسومة ههنا مكبرة كثيرًا . ولها في طرف رأسها مما يلي فاها اشناب تتحرك دواماً فتحرك الماء وتجعلهُ يرد اليها بما فيهِ من الغذاء من الحشرات والديدان الصغيرة لان عوَم البعوض شرهة مثلهُ تأكل كثيرًا ولولا ذلك ما كانت تكبر سريعاً وهذه الاشناب بمثابة الايدي لها

وفي ذنب هذه العومة عضوان غريبان الواحد ظاهر فوق الماء كأنهُ زهرة الاقحوان وبهِ تتنفس لانها لا تعيش ما لم تتنفس الهواء . وانفها في ذنبها لا في رأسها لان رأسها مشغول بالاكل الدائم حتى تبلغ اشدها باسرع ما يمكن من الوقت مخافة ان يجف الماء قبل ذلك . وليس لها رئتان مثل الانسان وغيرهِ من الحيوانات الكبيرة فيجري الهواء الذي تتنفسهُ في بدنها كلهِ ليطهر دمها . والفرق بينها وبيننا ان دمنا يجري من بدننا الى الرئتين ليتطهر فيهما بالهواء واما هي فيجري الهواء في بدنها الى دمها ليطهرهُ . وفي اعلى ذنبها اوراق او مصاريع تنفتح لدخول الهواء ثم تقفل لتمنع دخول الماء . فاذا صعد ذنبها فوق الماء فتحتهُ اولاً واخرجت الهواء الفاسد منهُ وجمعت فيهِ هواء نقيًّا واغلقت مصاريعهُ وعادت الى قلب الماء واذا حرّك الماء طويلاً حينئذٍ اختنقت فيهِ

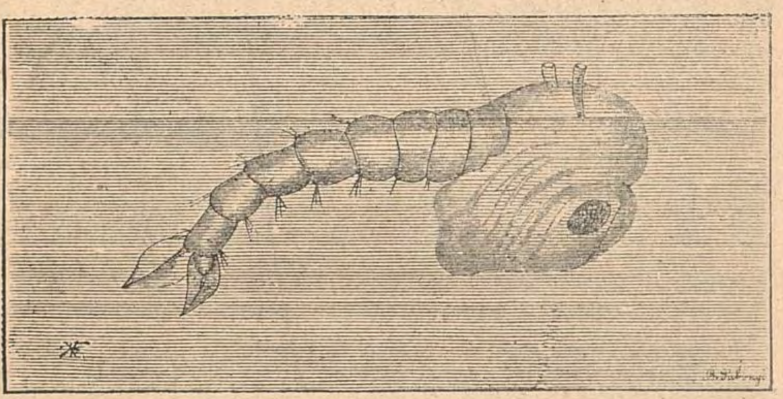

(٤) العومة قبل ان تصير بعوضة

وتحت هذا الذنب او الانف عضوٌ آخر بارز في الماء لهُ اربع شعب تتحرك في الماء وهي بمثابة المجاذيف والدفة تسير بها في الماء وتنتقل من جهة الى أُخرى وهي اشبه باللولب في السفن ذات اللولب منها بالمجاذيف. ويظهر حسن احكامها من السرعة التي تسير فيها هذه العوم في الماء

ويمضي على العومة بضعة ايام وهي في هذه الحالة ثم تنتقل الى حالة أُخرى ولذة العيش بالتنقُّل فيختلط رأسها بصدرها وتصير كما ترى في الشكل الرابع وهو مكبَّر كثيرًا . وتتصوَّر حينئذٍ بصورة أُخرى وهي صورة البعوضة التي تخرج منها ولكنها تبقى مدة قبل ان تصير بعوضة تامة ويكون شكلها حينئذٍ على غاية القبح وينسد فمها وتصوم عن الطعام ولا تعود تتنفس من ذنبها كما كانت تتنفس وهي عومة بل ينبت لها قرنان في اعلى رأسها تتنفس منهما كما ترى في الشكل

الرابع . ولا يطول عليها المطال في هذه الحالة او في هذا التقمص بل ينشق غلاف ظهرها بعد يوم او يومين وتخرج منهُ بعوضة كاملة كما ترى في الشكل الخامس وترى صورتها فيهِ مكبرة وقد خرجت من الغلاف الذي كانت فيهِ وصورتها فوق الماء صغيرة حسب قدها الطبيعي . ويكون جسمها رطباً حال خروجها ولكنهُ يجف حالاً فتبسط جناحيها وتنتقل من عنصر الماء الى عنصر الهواء

والبعوض ذكور واناث مثل سائر الاحياء ومن الغريب ان الضار منهُ اناثهُ لا ذكورهُ فان الذكور زاهدة تكتفي بأرْي الازهار وعصار الاثمار ولذلك لا نراها في البيوت الاَّ نادرًا وتمتاز عن الاناث بالشعر الغزير في قرونها اما الاناث فتكثر في البيوت وتمتص الدم من الانسان والحيوان

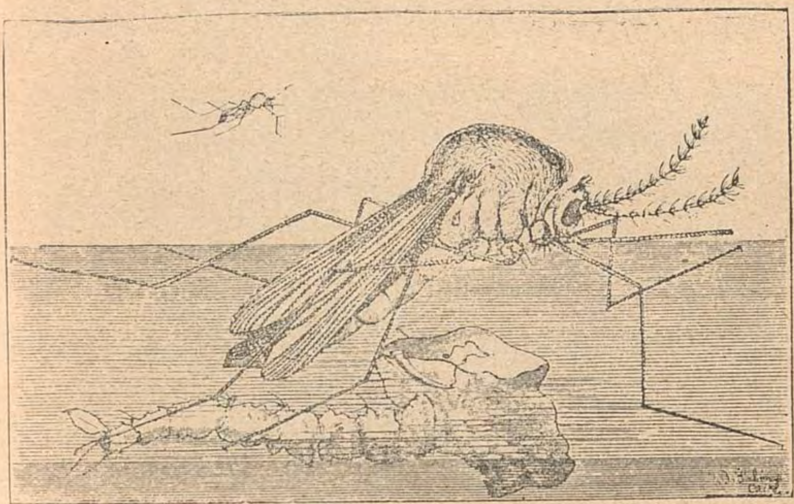

(٥) البعوضة حال خروجها من غلافها

وبعوض الحمى الملارية لا يلصق بيضهُ بعضهُ ببعض كالبعوض العادي بل يذرهُ على وجه الماء متفرقاً فيدنو بعضهُ من بعض كما تدنو كل الاجسام الخفيفة الطافية على وجه الماء . ترى هذه البيوض عند الرقم ٢ في الشكل السادس وهي متفرقة مستدقة من طرفيها كحبوب الشعير لكنها في الرسم اكبر مما هي في الحقيقة . وقد كبرت واحدة منها ايضاً ورسمت من وجهيها فوق الرقم ٣ وعددها قليل بين اربعين ومئة واما بيوض البعوض العادي فنحو اربع مئة او اكثر وواضح من ذلك ان شكل البيض ووضعهُ على وجه الماء يختلف في بعوض الحمى عما هو في البعوض العادي اختلافاً كبيرًا جداً . فاذا رأيت بيوض بعوض الحمى في بركة او ترعة فاعلم ان بعوض الحمى موجود هناك

والديدان او العوم التي تخرج من البيض وتصير بعوضاً تختلف ايضاً في بعوض الحمى

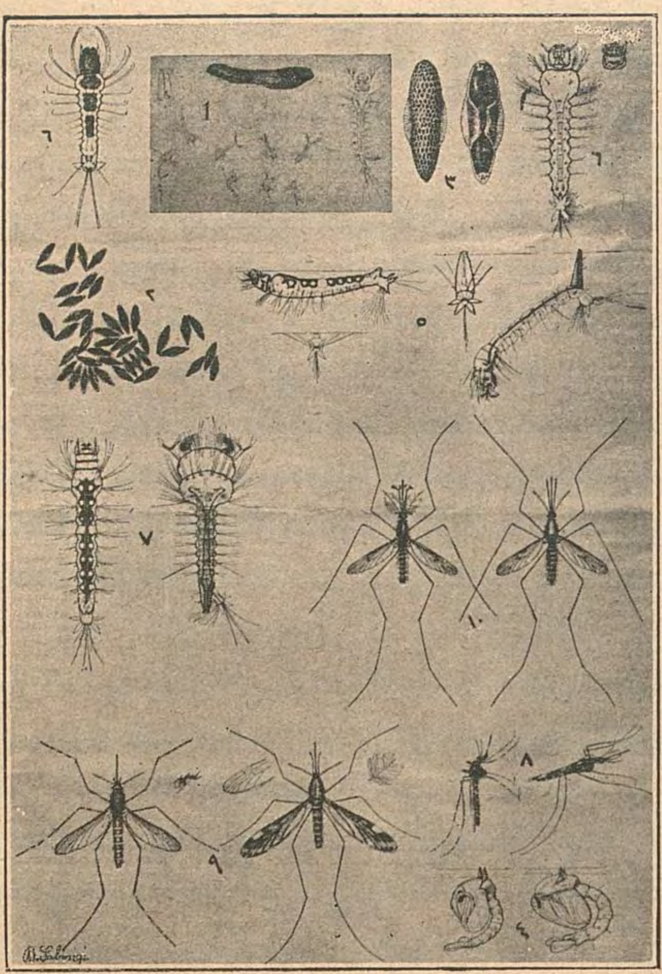

الشكل السادس (١) بيض البعوض العادي وعومهُ في الماء · (٢) بيض بعوض حمى الربع الملارية (٣) بيضة مكبرة كثيراً من هذا البيض تظهر من وجهيها · (٤) عوم البعوض في حالة الزيز او الشرنقة اليمنى لبعوض الحمى واليسرى للبعوض الاعتيادي (٥) اليمنى عومة البعوض الاعتيادي وهي تتنفس واليسرى عومة بعوض الحمى لاصقة بسطح الماء · (٦) اليسرى عومة بعوض الحمى حال ظهورها من البيض واليمنى بعد ما تنمو · (٧) عومة البعوض العادي الى اليمين وعومة بعوض الحمى الى اليسار · (٨) شكل البعوض في وقوفهِ فالتي الى يمين الرقم بعوضة الحمى والتي الى يسارهِ بعوضة عادية ٩) التي الى يمين الرقم بعوضة الحمى وهي مرقطة الجناحين وقرناها حول خرطومها طويلان · والتي الى اليسار بعوضة عادية وقرناها قصيران · (١٠) بعوض الحمى الانثى الى يمين الرقم والذكر الى يسارهِ

عنها في البعوض العادي في بنائها وغذائها وطبائعها وشكل وقوفها في الماء . فعُوَم البعوض العادي تصعد الى وجه الماء لتتنفس حتى اذا بلغ انبوب التنفس الذي عند طرف ذنبها سطح الماء ثبتت تحتهُ مائلة على زاوية كما ترى على يمين الرقم ٥ في الشكل السادس وتبقى هناك لحظة ثم تغوص في الماء لتفتش عن شيءٍ تأكلهُ ثم تعود الى وجهِ الماء كل دقيقة او دقيقتين . وكأَنها اثقل من الماء فتتلوَّى حتى تصعد الى سطحهِ واما اذا ارادت النزول فيهِ تركت نفسها لثقلها فتنزل من غير تعب كأَنها جسم ثقيل طُرِح في الماء

اما عوَم بعوض الحمى فتقضي اكثر الوقت عند سطح الماء وانبوب التنفُّس في ذنبها قصير جدًّا اقصر منهُ في عوم البعوض العادي فتراها لاصقة بسطح الماء في شكل افقي كما ترى عن يسار الرقم ٥ ورأس هذه العوم يتحرك في عنقها فتدير فاها الى سطح الماء وتأكل ما تجدهُ عليهِ مع ان بطنها يكون الى الاسفل . وتحرك اهداب فمها حركة سريعة فتندفع اليهِ الاجسام الصغيرة الطافية على وجهِ الماء . وجسم هذه العوم قاتم اللون يكاد يكون اسود واما جسم عوم البعوض العادي فرمادي او ضارب الى الصفرة . والظاهر ان عوَم بعوض الحمى خفيفة ثقلها كثقل الماء فلا تستطيع الغوص فيهِ الَّا بتعب ولذلك لا تغوص فيهِ الَّا اذا خافت

ورأس عوم البعوض العادي اكبر من رأس عوم بعوض الحمى كما ترى على جانبي الرقم ٧ فان التي عن اليسار عومة بعوض الحمى والتي عن اليمين عومة البعوض العادي وهما صغيرتان جدًّا ويبقى هذا الفرق بينهما ولو كبرتا والاهداب التي حول الرأس مختلفة في النوع الواحد عنها في الآخر كما ترى في الاشكال المتقدمة

والعوم تستحيل الى زيزان او شرانق كما هو الحال في غيرها من الحشرات . وهذه تختلف ايضاً في النوعين اختلافاً بيّناً كما ترى على جانبي الرقم ٤ فان التي الى يسار الرقم شرنقة البعوض العادي والتي الى يمينهِ شرنقة بعوض الحمى

ويختلف هذان النوعان من البعوض في شكلهما وكيفية وقوفهما على الحائط . اما اختلاف شكلهما فيظهر عند الرقم ٩ فان البعوضة التي الى يمين الرقم ٩ انثى بعوض الحمى الملارية والبعوضة التي الى يسارهِ انثى البعوض العادي . ومعظم الفرق في ترقيط الجناحين وفي طول القرنين اللذين على جانبي الخرطوم فانهما طويلان في بعوض الحمى وقصيران في البعوض العادي

ومعلوم ان ذكر البعوض لا يمتص دماً كما تقدَّم فلا ضرر منهُ ورِيشتا رأسهِ طويلتا الاهداب . وترى عند الرقم ١٠ صورة ذكر بعوض الحمي وانثاهُ فالذكر الى اليسار والانثى الى اليمين فيسهل التمييز بينهما

ثم اذا وقفت بعوضة الحمى على سقف او حائط كان وقوفها عموديًّا على السقف او الحائط كأنها مسمار غرز فيهِ كما ترى الى يمين الرقم ٨ واما البعوضة العادية فتقف موازية للحائط او السقف كما ترى على يسار الرقم ٨ . ورأس بعوضة الحمى يكون على استقامة بدنها كما ترى في هذا الرسم واما رأس البعوضة العادية فيكون مائلاً عليهِ كما ترى

واذا عرف الانسان عدوهُ لم يتعذر عليهِ اتقاؤُهُ فعدو الانسان الذي يبليهِ بالحميات الملارية هو هذا النوع من البعوض وهو لا يتولد الاَّ في المستنقعات والبرك الخالية من السمك فاذا ربي السمك فيها او نزح ماؤُها حتى تجف لم يبقَ سبيل لتولد هذا البعوض وكذلك اذا صُبّت فيها مادة تميت عومهُ كزيت البترول

هذا من حيث البعوض العادي الذي تنتشر بهِ حمّى الدنج وبعوض الانوفيل الذي تنتشر بهِ الحمى الملارية . وقد اكتشف عالم اميركي اسمهُ اندروود نوعاً من البعوض يشبه بعوض الملاريا شكلاً لكنهُ اكبر منهُ قليلاً وليس لهُ خرطوم يمتص الدم بهِ فلا سبيل لهُ الى لسع الناس ونقل الحميات . ولو اقتصرت مزاياهُ على ذلك ما كان لاكتشافهِ شأن ولكن ظهر من امرهِ ان ديدانهُ تاكل ديدان غيرهِ من البعوض وكفى بذلك فائدةً فان مكتشفهُ وجد دودهُ في السابع والعشرين من شهر يناير الماضي في بركة لم يجد فيها غيرهُ وهو اكبر من دود البعوض العادي ولونهُ يكاد يكون اسود ورأسهُ كبير بالنسبة الى بدنهِ فيهِ مشفران حادًّا الاسنان . وضع خمس عشرة دودة منهُ في اناءِ ولم يمضِ عليها زمن حتى اخذ بعضها يفترس البعض الآخر فتمسك المفترسة اختها من فوق الانبوب الذي تتنفَّس منهُ وتنفضها وتبتلعها من ذنبها فصاعداً الى رأسها ولما خاف ان لا يبقى عندهُ شيءٌ منها فرَّق بينها ووضع كل دودة في اناءٍ على حدة فبلغت اشدها واستحالت بعوضاً فرأى انهُ مثل بعوض الحمى شكلاً ويزيد عليهِ جرماً. ثم وجد بالامتحان ان دود هذا البعوض يأكل دود غيرهِ من البعوض فان اربع عشرة دودة منهُ اكلت في ليلة واحدة سبعين دودة من دود البعوض العادي. وآخر ما قرأناهُ من قلم المكتشف انهُ لم يكن امتحن فعلهُ بدود بعوض الحمى الملارية

فهذا البعوض اذا ثبت ان ليس منهُ ضرر وانهُ يأكل عُوَم غيرهِ من البعوض فهو علاج طبيعي لهُ ولكن الوسائل الصناعية التي في طاقة الانسان اوفى منهُ وهذه الوسائل هي

اولاً منع بقاء الماء في الآنية المكشوفة اياماً متوالية من ستة ايام الى ستة عشر يوماً . وكاس ماءٍ تكفي لتوليد ما يملأُ بيتاً من البعوض فعلى اصحاب البيوت ان لا يتركوا في بيوتهم ولا حولها اناءً يستقرُّ فيهِ الماءُ بضعة ايام مهما كان نوعهُ

ثانياً اذا كان في البيت او في ما يجاوره بركة ماء وجب ان يربَّى فيها السمك فقد رأى بعضهم سمكتين من السمك الذهبي الاحمر في بركة صغيرة اكلتا ٩٨ دودة من دود البعوض في اربع دقائق

ثالثاً على الحكومة والمجالس البلدية ان تردم كل البرك والمستنقعات المجاورة للمدن ولا تدع الماء يركد فيها صغيرة كانت او كبيرة اذا لم يكن في الطاقة تربية السمك فيها

رابعاً اذا وُجد في مكان بركة يتعذَّر ردمها وتتعذر ايضاً تربية السمك فيها فيكفي لاماتة ما فيها من دود البعوض ان يصب فيها قليل من زيت البترول والدرهم منهُ يكفي لاماتة دود البعوض من اناء مساحة سطح الماء فيهِ قدم مربعة . وعشرة دراهم تكفي لاماتة دود البعوض من الماء الذي سطحهُ متر مربع . ولا بد من تكرار صب الزيت مرةً كل عشرة ايام لان ما يصبُّ منهُ يتبخَّر في هذه المدة

خامساً اذا كثر البعوض في مكان وأُريد التخلص منهُ فاحرق فيهِ الدقيق المعروف بالدقيق الفارسي حتى يكون دخانهُ كثيراً وذلك بان تضع جمر النار في اناء وتغطيهُ بقليل من الرماد ثم تذر الدقيق الفارسي عليهِ فيحترق بدخان كثير يملأُ الغرفة او الساحة التي تحرقهُ فيها ويبعد البعوض عنها او يخدره او يميتهُ

سادساً اذا وضعت الشباك الدقيقة في الشبابيك والابواب فالغالب انها تمنع البعوض من دخول البيت واذا وضعت الناموسيات (الكلات) حول الاسرَّة وأُبقيت ذيولها على الفراش فقلما تستطيع بعوضة ان تدخل منها الى النائم

سابعاً اذا أُصيب احد بالحمى الملارية او حمى الدنج فلا تدع البعوض يلسعهُ لان كل بعوضة تلسعهُ تنقل العدوى منه الى غيرهِ

ومن قرأَ هذا الفصل بالامعان سهل عليهِ ان يمنع البعوض من التولد في بيتهِ وحوله وان يقي نفسهُ منه

هذا وتجد في مقالة سابقة ان بعوض الحمَّى الملارية وُجد في حلوان على مقربة من القاهرة وحالما عُلم ذلك اهتمت الحكومة المصرية ومصلحة سكة حديد حلوان بردم المستنقعات القريبة من حلوان فعسى ان يخرج هذا الاهتمام من القوَّة الى الفعل قريباً . وقد ثبت الآن ان الحميات قلت في الاسمعيليَّة بعد ردم المستنقعات القريبة منها ولا بدَّ من انها تقل من كل بلاد تردم مستنقعاتها

العلاج بالراديوم

لما كُشفت خواص الراديوم الغريبة في غرة هذا العام رأى كثيرون ان سيكون لهُ شأن كبير في المباحث الطبيعيَّة والاعمال الصناعيَّة ولكن لم يخطر على بال احد ان تكون لهُ منافع طبيَّة ليست في غيرهِ من العناصر ولا ينتظر ان تكون في عقار واحد مهما كان . أما من حيث شأنهُ العلمي فقد قال احد العلماء عنهُ منذ بضعة اشهر على صورة الاستفهام التعجبي "ما هو مستقبل الراديوم هذا المعدن الغريب الخواص الذي كانت نارهُ الداخلية تتقد حينما كانت

ش ١ عولجت بالراديوم فشفيت من الذئب الاكال ش ٢ امراة مصابة بالذئب الاكال

الارض شمساً من الشموس وستبقى متقدةً بعد ان تنطفئ شموس اخرى وتبرد" . ولما التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في الشهر الماضي كان الشأن الاول فيهِ لخطبة رئيسهِ التي ترجمناها ونشرناها في الجزء الماضي والشأن الثاني للبحث عن الراديوم وخواصهِ وتجارب العلماء فيهِ

وقد ذكرنا في الجزء الماضي ان الدكتور حبيب خيَّاط عاد من بلاد الانكليز بقليل من الراديوم لاستعمالهِ طبًّا وعلمنا منهُ ان استعمال هذا العنصر قد شاع الآن في كثير من المستشفيات وانهُ ذاكر الاطباء الذين استعملوهُ هو والنور الذي وراء الضوء البنفسجي واشعتهُ من نوع اشعَّة الراديوم. واحضر الينا صورًا فوتوغرافيَّة تمثل امرأتين كانتا مصابتين بالذئب الاكَّال فعولجت احداهما باشعة الراديوم والثانية بالاشعة التي وراء النور البنفسجي فشفيتا منهُ

كما سيجيء . فاذا ثبت بالتجارب التالية ان الذئب الاكال يشفى دائماً بهذه الاشعة ولا يعود ثانية فمن ذلك نفع عظيم لنوع الانسان لاسيما وان هذا الداء من نوع داء السل ومكروبهما واحد في نوعه فيحتمل ان ما يشفي الواحد يشفي الآخر ايضاً . والذئب الاكال قليل الانتشار ولكن السل اشد الامراض انتشاراً وفتكاً

اما المرأة التي اشرنا اليها آنفاً وقلنا انها عولجت باشعة الراديوم وشفيت فعمرها ٤٥ سنة وهي المرسومة في الشكل الاول والثاني اي بعد العلاج وقبله وكانت مدة معالجتها ثلاثة اشهر وقد شفيت من الذئب الاكال تماماً كما ترى في الصورة السابقة وهي منقولة عن صورة فوتوغرافية .

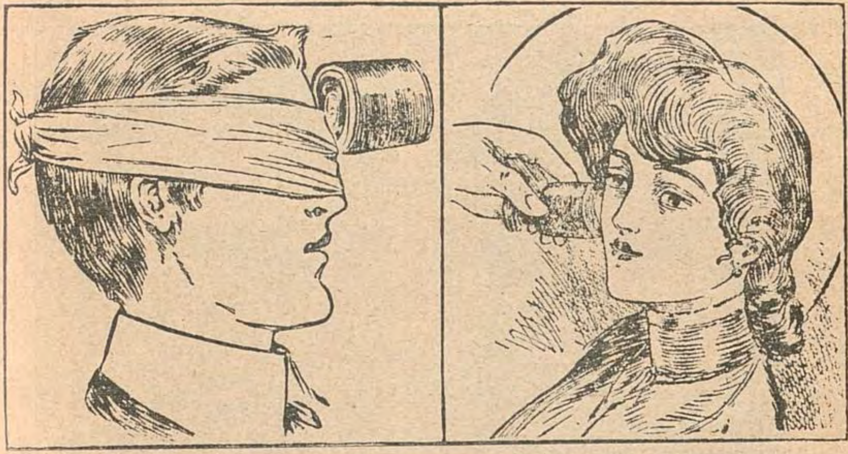

ش ٣ فتاة عولجت بالراديوم من النفرلجيا ش ٤ شاب مغمض العينين يرى بواسطة الراديوم

وقرأنا في جريدة الدايلي مايل ان امرأة اخرى شفيت في اسكتلندا من الذئب الاكال بعد معالجتها باشعة الراديوم اربعة اسابيع لا غير

ويستعمل الراديوم هكذا توضع ذرات صغيرة منهُ في مقبض اسطواني كالقنينة ويغطَّى بقطعة من الزجاج ويمسك المقبض ويوضع الراديوم امام العضو المصاب فتخرج منهُ اشعة مؤلَّفة من ذرات صغيرة سرعتها ١٨٥٠٠٠ ميل في الساعة وتخترق الزجاج وتقع على قرحة الذئب الاكال فتأكلها واذا وقعت على عضو سليم قرَّحتهُ تقريحاً لا يشفى الَّا في بضعة اشهر وقد لا يشفى ابداً

والمظنون ان اشعة الراديوم تشفي من السرطان كما تشفي من الذئب الاكال ويقال ان اثنين مصابين بالسرطان عولجا بهذه الاشعة في فينَّا فشفيا منهُ . ولا يجوز الحكم بان الشفاء تام الَّا بعد ان تمضي مدة طويلة ولا يظهر السرطان ثانية

واغرب من ذلك ان الاستاذ لوندن الروسي جعل العمي يبصرون في ما قيل فاتى بولدين عمر احدهما احدى عشرة سنة وعمر الآخر ثلاث عشرة سنة كانا قد فقدا بصرهما في السنة الاولى من عمرهما وادخلهما غرفة مظلمة ووضع انبوباً فيهِ الراديوم على جبنيهما ثم ألقى صور بعض الاجسام على ستار مستنير بنور الراديوم فشعرا بصورها ورأياها منطبقة على الشكل الذي يعلمانهِ لها باللمس فعرفا النقود والمفاتيح وما اشبه ويقال انهما تعلما الآن حروف الهجاء الروسية وصارا يقرأان بعض الكلمات . وقال انهُ عصب عيني شاب بمنديل حتى لم يعد يرى شيئاً ثم ادخلهُ غرفة مظلمة ووضع اناء الراديوم امام جبهتهِ فرأى ما امامهُ من الاشباح كما ترى في الشكل الرابع

ش ٥ شفيت بالاشعة التي وراء البنفسجي

ش ٦ امرأة مصابة بالذئب الاكال

وعالج بعضهم آفات الانف بالراديوم وعالج غيرهُ النفرلجيا المستعصية بهِ كما ترى في الشكل الثالث . والقى البعض اشعتهُ على ميكروبات التيفويد والكوليرا والجمرة فاماتتها لكنها تميت الاحياء الكبيرة كما تميت الصغيرة فقد وُضعت الفيران بقرب جزء صغير جداً من ملح الراديوم فاصابها فالج دماغي وماتت . فاذا كان مقدار الراديوم كبيراً ووضع في غرفة مع أُناس أُغلق عليهم فيها ومنعوا عن الخروج منها فلا يبعد ان يميتهم ولذلك صار العلماء يحذرونهُ في تجاربهم العلمية فلا يمسكونهُ الآ ملفوفاً بلفائف معدنية ويقال ان السر وليم كروكس وضع قطعة صغيرة منهُ في جيبهِ وذهب الى الجمعية الملكية ليظهر خواصهُ فيها فلما عاد الى بيتهِ وجد انهُ فعل بخاصرتهِ فعل الحرّاقة. وهو يحرق الجلد لكن الشعور بهِ كالشعور بالثلج لا كالشعور بالنار

وعرض الدكتور بوهن دعاميص الضفادع لاشعة الراديوم فنمت سريعاً وصارت ضفادع

ولكن تغيرت خلقتها عن الشكل المألوف

ولا يزال المستخرج من هذا العنصر قليلاً جداً وثمنهُ فاحشاً فان ثمن الدرهم منهُ نحو ١٣٠٠ جنيه . ولا بدَّ من ان يكثر استخراجه اذا ثبتت منافعهُ فيرخص ثمنهُ

والظاهر ان الاشعة التي وراء البنفسجي من اشعة الطيف تفعل فعل اشعة الراديوم فانها كلها من نوع واحد كما ترى من خطبة السر اوليفر لدج المدرجة في هذا الجزء اي مؤَلفة من ذرات دقيقة من الكهربائية السلبيَّة . وترى في الشكل الخامس والسادس صورة امرأة عمرها ٢٨ سنة كانت مصابة بالذئب الآكال في وجهها الايسر وجانب انفها مما يليهِ فعولجت بالاشعة التي وراء البنفسجي فشفيت في ستة اشهر . فاذا ثبت ان هذه الاشعة تفعل دائماً فعل اشعة الراديوم فانها تغني عنهُ . وسنرى في العام المقبل من غرائب هذا العنصر وهذه الاشعة ما لم يحلم بهِ ابناء العصور الغابرة

بيروت وحوادثها

بيروت ثغر الشام وزهرة المدائن العثمانية كانت دار المدارس ومرضعة العلوم في عهد اليونان والرومان ثم تعاونت القوى الطبيعيَّة والمشاكل السياسية على تخريبها فهُدمت اركانها ودُرست اعلامها حتى لم يبقَ منها في اواسط القرن الماضي الاَّ فرضة صغيرة . وعادت الايام فبسمت لها فنمت واينعت رغماً عن الادواء التي خربتها فزادت عمارتها اضعافاً كثيرة ونشأَت فيها خمس مدارس عالية ومدرستان كليتان ومطابع كثيرة لا تفوقها مطبعة في الشرق حتى الآن . وانشأ كتَّابها الجرائد السياسية والمجلاَّت العلميَّة واقام تجارها الدور الصناعية وفتحوا البيوت التجارية في الممالك الاوربيَّة . ثم الجم الاستبداد السنة جرائدها وضيَّقت المراقبة حلقات مطابعها وميزت السياسة بين سكانها لتفريق كلمتهم وجاءها فقراء المأمورين وقد ابتاعوا مناصبهم ابتياعاً بالرشى وغرضهم الاول ابتزاز الاموال لايفاء ما استدانوا ففترت الهمم وضعفت العزائم ونفرت القلوب . وتوالى العفو عن بعض الجناة فزادوا عتوًّا وضُيّق على البعض الآخر فلجأُوا الى الفرار وتربصوا بمن عاداهم الشر . وما زالت هذه الخطوب تتوالى الى ان امتلأت كاس الحقد ففاضت وانسدَّ حلق البركان فثار . فناوش السكان بعضهم بعضاً يقسمهم الدين ولا يزعهم وازع واضطرَّت الفئة الكبرى منهم ان تخرج من المدينة وتلجأَ الى الجبال لانها غير مسلحة وتمَّ غرض محبي التفريق وزارعي بزور الشقاق

ولقد كنَّا كلما كتبنا فصلاً عن مدائن الشام وخرائبها وما كان لها من العظمة والشأن في القرون الخوالي وما صارت اليهِ في هذا العصر نتذكر قصَّة البومة التي طلبت صداقاً مئة مدينة خربة فوعدها خطيبها بها ما دام سوء الاحكام والظلم سائدين في البلاد. وهذه الحقيقة يعلمها الجميع ويجاهر بها كلُّ مَن لم يُغلُّ الاستبداد فمهُ وقد اعرب عنها الشاعر المجيد نقولا افندي رزق الله في قصيدة بعث بها الينا يقول فيها

سلامٌ على بيروتَ لولا التحزُّبُ وحكَّامُ سوءٍ أفسدوها وخرَّبوا
همو قلَّدوا جهالها فوق جهلهم سلاحاً وهم نادوا بجمعهم اضربوا
يقاتلُ فيها البعضُ بعضاً كأنهُ عدوٌّ عليهِ قتلهُ الدينُ يوجبُ
ومن عجبٍ ان يغلب الجهلُ بلدةً لها من سلاح العلم ما ليس يغلبُ
إذا ذكروا في الشرق فضلاً لكاتبٍ فإنَّ اليها ذلك الفضلَ ينسبُ

الى ان قال

افي كلّ يوم يارجالُ جنايةٌ تساوى بها منكم بريءٌ ومذنبُ
أيرضى بهذا دينُ عيسى واحمدٍ وفي كل دينٍ زاجرٌ ومؤنبُ
لكم كل يومٍ عبرةٌ لو أردتمو تصانُ بها تلك الدماءُ وتحجبُ
وحسبكمو من مالكم ما خسرتمو وما ترتشي الخُوَّانُ منهُ وتكسبُ
لعمري اذا غادرتمو جهلاءكم تجرّرُ أذيالَ الشرور وتسحبُ
فليس لكم مندوحةٌ من ثلاثةٍ يجيءُ بها هذا البلاءُ ويذهبُ
نوًى او حياةٌ بالمذلة أو ردًى وليس وراء الموت للحرِّ مطلبُ

ومعلوم انهُ لا يريد بالحكام الاَّ الفريق الطاغي منهم الذي يقصد التفريق بين السكان إمَّا سياسةً وإما طمعاً لاننا واثقون ان ليس كل الحكَّام من هذا القبيل بل منهم فريق كبير يبذل جهدهُ في جلب المنافع ودرء المفاسد وان المدن التي صبرت على نوائب الدهر حتى الآن لا يخشى ان يودي بها سوء الاحكام ولو اضعف جسمها واخَّر نموها . ولا بدَّ لها من ان تتغلَّب عليهِ اخيرًا حين يعلم السكان ان مصلحتهم تقوم باتفاقهم وان الجامعة الوطنية يجب ان تكون فوق كل جامعة اخرى وبها يعلو شأنهم وشأن بلادهم

والذين يهمهم امر بيروت وسائر بلاد الشام ويقابلون حالها الحاضرة بما كانت عليهِ منذ الفي عام او يقابلون حالها وحال القطر المصري الآن بما كانا عليهِ منذ عشرين عاماً لا يسعهم الاَّ الاعتراف بان احوال بلاد الشام على غير ما يرام وان حسن الادارة وانتظام الاحكام

يسعدان البلاد في سنين قليلة . ولا يقفون عند هذه المقابلة وهذا الاستنتاج بل ينتقلون الى الاشارة بالعلاج الذي يعالج بهِ هذا الداء فمنهم من يشير بضم ولاية بيروت الى جبل لبنان واشراكها في امتيازاتهِ ومنهم من يتوسَّع ويطلب ان تجعل ولاية سورية وبيروت ولاية واحدة مع جبل لبنان وتعطى نوعاً من الاستقلال الاداري تحت سيادة الدولة العلية

وقد كنا نطالع في هذه الاثناء تاريخ لبنان الذي وضعهُ الكاتب الانكليزي الشهير الكولونل تشرشل بك فوجدنا فيهِ كلاماً لمحمد علي باشا جد العائلة الخديوية يحلُّ مسألة الشام حلاً يحسبهُ البعض اصح من غيرهِ واحسن عائدة على الدولة العثمانية . فان الامير بشير الشهابي لجأ الى محمد علي عزيز مصر منذ ثمانين سنة هرباً من ظلم والي الشام ووالي عكاء وطمعهما الاشعبي فانزلهُ محمد علي على الرحب والسعة وسعى لهُ في ارجاع صديقهِ عبد الله باشا الى ولاية عكاء وارجاعهِ هو الى ولاية لبنان . وقبل ان برح الامير الديار المصرية استدعاهُ محمد علي اليهِ واطلعهُ على ما ينويهِ فقال " ان بلاد الشام كانت متصلة ببلاد مصر وكانت البلادان تسعدان حينما تكونان لحاكم واحد الا الآن فقد نزفت خيرات الشام وتقوَّضت اركانهُ واوصلهُ جشع الولاة الى الفقر المدقع وصيَّر مروجهُ الخصيبة قفاراً جرداء

" ولبنان لو انتظمت حكومتهُ لصار مقر السعادة والهناء ولم يكن لهُ مثيل في بلاد المشرق ولكنهُ استحال بسوء سياستهم الى دار حرب دائمة . وبلاد الشام كلها تحوَّلت من رغد العيش ورفاه الحال الى الفقر والضيق بل كادت تعود الى حال البربرية ". ثم وصف حال القطر المصري وما بلغ اليهِ من سوء الحال قبل ان تولاَّهُ وما صار اليهِ بسعيهِ اذ اصلح ريهُ واستثمر خيرات ارضهِ وانشأ فيهِ المعامل الصناعية وكل ما يسعدهُ ويرقى بهِ الى درجة ممالك اوربا الفائقة في عمرانها. وان سعيهُ هذا عُرف لدى جلالة متبوعهِ السلطان الاعظم فشكرهُ عليهِ وامرهُ ان يعد الجنود لاخماد ثورة المورة ولا يبعد انهُ اذا افلح في اخماد تلك الثورة يستدعيهِ لاراحتهِ من عناء الاحكام في بلاد الشام حيث نهب الولاة الرعية وافسدوا حالها واضطروها الى اثارة الحروب والفتن والاستمرار عليها

وقال لهُ اخيراً انهُ مصمم على ضم القطر السوري الى القطر المصري وطلب منهُ ان يكون مستعداً لذلك فينجدهُ برجال لبنان اذا دعت الحال (انظر تاريخ لبنان الفصل ٢٥ من المجلد الثالث)

هذا ما كتبهُ الكولونل تشرشل منذ نحو ستين سنة ولا بد من ان يكون قد سمعهُ من الذين سمعوهُ من محمد علي او من الامير بشير . وهو حلٌّ آخر للمسألة السورية يحلم بهِ كثيرون اما نحن فنستبعدهُ جدًّا في الاحوال الحاضرة ولم نذكرهُ هنا الاَّ للدلالة على امر نجاهر بهِ

دواماً وهو ان صلاح البلاد بصلاح حكامها ولاسيما ان توفرت فيها الخيرات الطبيعيَّة كبلاد الشام وكان اهلها ذوي همة ونشاط كاهالي الشام . ولو كان الحكام من البلاد نفسها لقلنا ان صلاحها وفسادها انما هو باهاليها لان الحكام منهم ويستحيل ان يكونوا ارقى من اخوانهم او احط اما والحاكم من غير الاهالي فيتعذَّر على الاهلين اصلاح احوالهم اذا جرى الحاكم على ضد ذلك ولم يكن في وسعهم اصلاحه ُ ولاعزله ُ. ولكن ما من داءٍ اجتماعي الاَّ وله ُ دواءٌ بالصبر والتبصر

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

التمريض الجراحي

الفصل الاول في الميكروبات واتقائها

كثر الكلام على الميكروبات في هذه الايام ولكن قلَّ من يعرف عنها شيئاً غير انها احياءٌ صغيرة جدًّا ولا يعلم مقدار صغرها واختلاف انواعها الاَّ نفر قليل من العلماء . والذين ينظرون الى اجرام السماء بالتلسكوب ويرون عظمتها وكثرة عددها يستصغرون انفسهم وارضهم ويحسبون ان الخالق لا يلتفت اليهم ولكنهم اذا تركوا التلسكوب ونظروا بالميكرسكوب رأَوا من الاحياء الصغيرة ما يعد بملايين الملايين في كل ما حولهم ورأوا الانسان اكبر واعظم من مخلوقات كثيرة

وهذه الاحياء الصغيرة او الميكروبات تعيش في الاوساخ والاقذار وتدخل الجسم من الجراح او تدخله ُ بالشرب مع الماء او بالتنفس مع الهواء وحيثما جرح الجسم صار فيهِ باب لدخول الميكروبات فتدخل وتسبب الالتهاب والصديد والحمَّى واذا لم تقاوَم شملت الجسم كله ُ وسمَّت الدم وسبَّبت الموت

منذ ٣٦ سنة لم تكن تعمل عملية جراحية من غير ان يحدث فيها تقيُّح قبل شفائها ٠ ولم

تكن المستشفيات نقية . وكانت ادوات الجراحين تغسل فقط وتنشَّف وكان الماء مشحوناً بالميكروبات وكذلك اللفائف والربائط ولم يكن احد يعلم شيئاً عمَّا فيها

وقد ثبت الآن ان لكل مرض ميكروباً خاصاً بهِ وان الميكروبات كثيرة الانواع ومنتشرة في كل مكان ولكن يمكن تنقية بعض المواد والامكنة منها. ويطلق على المادة التي نزعت الميكروبات منها اسم الاسبتك ومعناه الخالي من الفساد ومن هذا القبيل الماء المعقَّم الذي أُغلي حتى ماتت كل الميكروبات منهُ والآلات الجراحية التي وضعت في الماء الغالي او في محلول الحامض الكربوليك . والقطن واللفائف التي أُغليت في الماء او وضعت في فرن حام او نقعت في سائل مضاد للفساد

والمواد المضادة للفساد (انتسبتك) هي السموم القوية التي تقتل الميكروبات مثل الحامض الكربوليك والسليماني واليودوفورم وهي كثيرة الاستعمال في الجراحة ولكنها اذا كانت قوية فقد تهيج الجرح او تسم العليل ولذلك لابدَّ من الاحتراس في استعمالها. ثم ان المواد المضادة للفساد قد تفسد اي تدخلها الميكروبات ويحدث ذلك اذا عتقت وفقدت قوتها على قتل الميكروبات . ولذلك جرت العادة الآن ان تنفق النفقات الطائلة على بناء اماكن خاصة لعمل العمليات الجراحية وتعقيم كل ما يستعمل فيها من ماء وآلات جراحية واربطة وما اشبه ويجدد هواؤُها دواماً بمراوح كهربائية وتعدَّل حرارتها حسبما تستدعي حال المريض

وتختلف هذه الاماكن في بعض المستشفيات الكبيرة حسب اختلاف العمليات الجراحيَّة التي تعمل فيها فبعضها للعمليات البطنية وبعضها لعمليات العيون وبعضها لسائر العمليات وفي كلٍّ منها ما يلزم من الآلات والادوات والاستحضارات اللازمة للعمليات التي تعمل فيها

وهناك غرف مختلفة للبس الثياب النظيفة التي يلبسها المشتركون في عمل العمليات الجراحيَّة واحدة منها للاطباء وواحدة للتلامذة المساعدين وواحدة للممرضات فينزع الاطباء والمساعدون سترهم ويلبسون مراويل كبيرة تغطي ثيابهم كلها . ويلبس الممرضات مراويل كبيرة واكماماً تربط فوق المرفق . ويبتدئ الجميع بغسل ايديهم وتنظيف اظافرهم بالماء السخن والصابون ثم يغطسونها في سائل مضاد للفساد مثل محلول السليماني او الحامض الكربوليك. ومحلول السليماني افضل لانهُ لايخشّن اليدين. ثم يمشي الجميع الى غرفة العمليات ويؤتى بالعليل من غرفة التبنيج على سرير لهُ عجل يسير عليها ويجب ان لا يعلم شيئاً مما أُعدَّ لهُ ويوضع على مائدة العمليات ويقف المبنج فوق رأسهِ والجرَّاح المساعد عن جانبهِ وبالقرب منهُ التلميذ وممرضتان. ثم يدخل الجراح الكبير ويغطس يديهِ ثانية في اناء فيهِ سائل مضاد للفساد ويمسك

السكين ويشرع في العملية ويتم العمل بالصمت التام . فاذا كان كل شيء معدًّا منظماً فالعملية التي كانت تعمل في ساعة او ساعة ونصف تعمل الآن في نصف ساعة فيقل الم المريض ويقل خطر العمليات جدًّا

وقلما تعمل العمليات الجراحية الآن في اوربا الاَّ في المستشفيات لان الخطر من عملها في البيت كثير جدًّا ولذلك انشئت مستشفيات خاصَّة بالاغنياء يقيمون فيها وقت العمليات الجراحية ولا يستعيبون ذلك . ويكون في هذه المستشفيات غرفة خاصَّة بكل مريض وممرضةٌ خاصة بهِ

الفصل الثاني في العوارض

اذا عرض لانسان عارض ما فالغالب ان الذين يرونهُ يبادرون اليهِ ويحاولون ايقافهُ وهذا خطأٌ لانهُ اذا جُرح يكثر نزف الدم منهُ بايقافهِ واذا كسر فيهِ عظم زاد الكسر المًا ودخلت شظايا العظم في لحمهِ وجرحتهُ وزادت تعبهُ وضررهُ . واذا ايفت سلسلتهُ الفقرية واوقفتهُ فقد يموت حالاً . واذا كُسرت جمجمة رأسهِ واوقفتهُ فقد لا يعود يشفى . واذا أُغمي عليهِ او أُصيب بالفالج فايقافهُ على رجليهِ يزيد ضررهُ

وقد تقول لي ماذا نفعل اذًا فالجواب ان افضل ما تفعلهُ اذا سقط احد او رُمي ان تبادر اليهِ وترى ماذا انكسر او انجرح منهُ فاذا وجدت الآفة وانها ذات خطر فلا تحاول تحريكهُ من مكانهُ الاَّ بعد ان تحضر فراشاً او قطعة متينة من الخيش او باباً او لوحاً عريضاً ثم ترفعهُ وتضعهُ عليهِ ويجب ان يمسك شخص بالعضو المصاب حتى لا يتقلقل وقت رفعهِ ويحملهُ اثنان او اكثر من عند رأسهِ وقدميهِ

الراحة

يراد بالراحة إبطال العمل الجسدي والشغل العقلي وترك الاهتمام بهما لكي تتجدد قوى الجسد والعقل . والانسان الذي يعوّد نفسهُ الراحة التامَّة والانقطاع عن العناء انقطاعاً تامًّا يستطيع ان يعمل في اوقات العمل مضاعف ما يعملهُ غيرهُ من الذين يقضون ساعات الراحة بهموم العمل

وكل احد يحتاج الى ساعات ينام فيها واوقات ينقطع فيها عن العمل تمام الانقطاع . والنساء ربَّات البيوت احوج الى ذلك من الرجال لان هموم بيوتهنَّ تتبعهنَّ في الغالب نهارًا وليلاً . ولو اقتسم الناس اعمال الحياة على السواء لرأيت انهم كلهم يستطيعون ان يستريحوا

ساعات كثيرة كل يوم ولرأَيت ان اشتغال ساعات قليلة يكفي للمعيشة ويزيد عليها ولكن كسل البعض واهمالهم يوجب على البعض الآخر ان يشتغل لهم ويفعل ما يمنعهم كسلهم عن فعلهِ

وان من اقبح الامور ان ترى والدةً تنهض باكرًا لتدبير بيتها والاهتمام بما يلزم لزوجها واولادها لاجل راحتهم ورفاهتهم وبناتها نيام او واقفات امام المرآة يرتبن شعورهنَّ او جالسات يطالعنَ القصص والروايات . او ترى والدًا ينام باكرًا لكي يستطيع ان ينهض باكرًا لاعمالهِ ويقضي نهارهُ دئبًا لكي يكتسب ما تعيش بهِ عائلتهُ ارغد عيش واولادهُ يسهرون في القهاوي والمراقص الى ما بعد نصف الليل ثم ينامون الى قرب الظهر . او ترى اخًا يتعب ويدأَب واخوهُ يتمتع بجنى تعبهِ عفوًا . كل ذلك من ادواء الهيئة الاجتماعية التي تجب مداواتها والاَّ آلت الى هلاك الكسلان واضعاف المجتهد كما ان العشب البري الذي لا ينفع شيئًا ييبس بعد ان يضعف النبات الصالح الذي ينبت معهُ

والنوم اول سبيل من سُبل الراحة واهمها كلها ويختلف المقدار اللازم منهُ باختلاف السن وباختلاف اعمال الانسان وعاداتهِ . فالصغار والشيوخ يحتاجون الى الكثير منهُ اكثر مما يحتاج الشبان والكهول . والذين يشتغلون اشغالاً عقلية يحتاجون الى النوم اكثر من الذين يعملون اعمالاً بدنية . والعليل يحتاج ان ينام اكثر من السليم . والمجتهد في اعمالهِ يحتاج ان ينام اكثر من البطيء فيها

واذا تعب الانسان ساعة بعد اخرى ويومًا بعد آخر ولم يسترح الراحة الكافية انحرفت صحتهُ ولم يعد يستطيع العمل كما اذا كان واقفًا على خشبة وانكسرت الخشبة بهِ فانهُ يسقط لا محالة واذا انحرفت الصحة وجاء المرض صار الانسان كالشمعة التي تحرقها من طرفيها فان التعب ينهكهُ من جهة والمرض من أُخرى

ومن العادات الحميدة التي يعتادها بعض الناس انهم يستطيعون ان ينقطعوا عن العمل ويصرفوا بالهم عن همومهِ دفعةً واحدة فاذا كانوا مستيقظين لم يعد عملهم يخطر لهم ببال ما داموا منقطعين عنهُ واذا ارادوا النوم فحالما يضعون رؤُوسهم على الوسادة ينامون ولا يستيقظون الاَّ حينما يكتفون من النوم والراحة فينهضون حينئذٍ للعمل حالاً . اناس مثل هؤُلاء يستطيعون ان يعملوا عملاً كثيرًا . اما الذين يتعذر عليهم النوم او يكثر قلقهم وارقهم فقلما تستريح اجسامهم وعقولهم وقلما يستطيعون ان ينجزوا اعمالاً كبيرة

ولما كان النوم خير وسائل الراحة وجب ان يُعتَنى الاعتناء التام بجعل ساعاتهِ كافية والرجوع اليهِ في ميعاد محدد لا يقدَّم ولا يؤَخر

ولا بدَّ من منع كل ما يزيل النوم او يؤخرهُ فيجب ان يكون طعام العشاء مغذيًا بسيطًا سهل الهضم وان لا يكثر الانسان منهُ فيتعب معدتهُ ويحرم عينيهِ النوم على غير فائدة . واذا شعرت ان الطعام ثقيل على معدتك فخير لك ان تنهض وتستفرغ لان النوم افيد من الطعام الذي يصعب على المعدة هضمهُ . ومما يسهّل النوم ان يكون الهواء نقيًّا في غرفة النوم وان ينام كل واحد في سرير وحدهُ واذا كان استفراغ الطعام عسيرًا عليك وجب ان تقلل طعامك في العشاء حتى لا تضطر الى استفراغهِ وان تمضغهُ جيدًا قبلما تبتلعهُ

والهمُّ من اكبر اسباب الارق وقد قال فيهِ الشاعر العربي

والهمُّ يخترم الجسيم نحافةً ويشيب ناصية الصبي ويهرمُ

وقال احد فلاسفة الاميركيين " انهُ تراب يرمى في العيون وابر يدوس الحفاة عليها "

يظن البعض ان اوقات الراحة تضيع سدًى من غير فائدة . ذهبت امرأة لتقضي فصل الصيف في بعض الجبال فاخذت آلة الخياطة معها وقالت لجارتها بعد رجوعها " لا ادري كيف يضيع النساء اوقاتهنَّ اما انا فلم اضيّع ساعة من وقتي بل استغنمت فرصة هذا الصيف اذ لا زيارات ولا مقابلات وخطت ثياب اولادي واعددت ثيابًا جديدة للشتاء ووجدت الاثمار كثيرة رخيصة فصنعت من المربيات كذا وكذا ارطالاً ولم ادع ساعة تذهب سدًى " . هذه المرأة التي قضت فسحة الصيف في الخياطة وعمل المربيات وافتخرت بذلك على اترابها قضت فصل الشتاء التالي طريحة الفراش من الضعف العصبي لانها نسيت ان الراحة من الزم لوازم الحياة

غرف النوم

اول شرط يشترط لصلاحية غرفة النوم لكي يكون النوم فيها منعشًا مردًّا للقوى ان تعرَّض كل يوم للهواء النقي ونور الشمس وان يبقى الهواء يتجدَّد فيها ليلاً مدة النوم . ويقول البعض ان هواء الليل رديء مضرٌّ ولكن اذا كانت غرفة النوم مقفلة الكوى فسد هواؤُها سريعًا ولم يعد صالحًا للتنفس ولا سبيل لتجددهِ الاَّ بادخال هواء الليل اليها . والذي يضرُّ من هواء الليل ليس الهواء نفسهُ بل اسلوب دخولهِ وبردهُ فاذا نام الانسان بين شباكين مفتوحين او بين شباك وباب اي في مجرى الهواء وكان هواء الليل باردًا كما هو في الغالب لم يسلم من الضرر ولكن اذا كان السرير موضوعًا في غير مجرى الهواء بحيث يتجدَّد هواء الغرفة من غير ان يبرد جسم النائم فلا ضرر منهُ . ومعلوم انهُ اذا كانت غرفة النوم كبيرة وكان بابها مفتوحًا الى دار كبيرة ايضًا فالهواء الكثير الذي فيها لا يفسد كلهُ مدة النوم ولا داعي حينئذٍ لفتح

الشبابيك وكذلك اذا كان زجاج الشبابيك يفتح من الاعلى فقط من عند السقف فان الهواء يتجدد رويدًا رويدًا ولو من فتحة صغيرة من غير ان يبرد بهِ جسم النائم · والخلاصة ان تجديد هواء غرف النوم لازم ولكن لا يجوز تبريدهُ كثيرًا ولاسيما اذا كان النائم نحيف الجسم. ومعلوم ان الانسان يقضي ثلث عمرهِ في غرفة النوم فيجب ان تكون من البيت بحيث تدخلها اشعة الشمس ساعات عديدة كل يوم ففي هذا الاقليم يكفي ان تكون جنوبيَّة او شرقية او غربيَّة واما اذا كانت شماليَّة فقط فلا تدخلها الشمس الاَّ قليلاً في فصل الصيف حينما تقل الحاجة اليها واما في فصل الشتاء فلا تدخلها الشمس مطلقاً ولذلك لا تكون صالحة للنوم

والحرُّ في غرف النوم خير من البرد والاعتدال في الحرارة خير منهما كليهما . والنوم في غرفة حارة من غير غطاء او بغطاء خفيف خير من النوم في غرفة باردة بغطاء ثقيل

آداب التحية عند الافرنج

الكبير يبادئ الصغير بالتحية ولا يعكس

الرجل يقدّم الى المرأة وقت التحية ولا يعكس

لا تنهض المرأة للرجل الاَّ اذا كان كبير السن او ذا مقام رفيع وتريد ان تكرمهُ لمقامهِ النساء ينهض بعضهنَّ لبعض حين التعارف

المرأة تبادئ الرجل بالتحية اذا ارادت اما هو فلا يبادئها بها الاَّ اذا كان صديقاً حميماً

اذا التقى الاصدقاء في الطريق مرارًا فلا يحيي بعضهم بعضاً الاَّ في المرة الاولى واما في الثانية والثالثة فالالتفات او التبسم يكفيان

آداب المحادثة

المحادثة صناعة بل ملكة راسخة في النفس يولد البعض بها و يعتاد البعض عليها ويعجز البعض عنها . ومَن خُصَّ بفكاهة الحديث فقد خص بنعمة لا يعرف قيمتها الاَّ الذين حُرموا منها

المحادثة روح المعاشرة وعلى كل احد ان يمرّن نفسهُ عليها كما يمرّن نفسهُ على الانشاء · وسرُّها ان يراعي المحدّث مقام الذين يحدثهم ويكلمهم حسب افهامهم واذواقهم

وعلى المحدث ان يكون سامعاً فان من لا يهتم بحديث غيرهِ لا يهتم غيرهُ بحديثهِ واذا لم يكن الغير ماهرًا في المحادثة فساعدهُ وهو يحدثك فتجدهُ يصغي الى حديثك

وحسن الاستماع شرط واجب لحسن المحادثة فان من لا يصغي الى حديث غيرهِ ولا يشجعهُ

على الحديث بالتفاتهِ وهيئة وجههِ ويغضي عن الهفوات الصغيرة يخلّ بآداب المحادثة . وما من احد يحب ان يُعَد حقيرًا بين عشرائهِ لا يُلتَفت الى كلامهِ ولا يستمع لهُ

وعلى المحدّث ان يرفع صوتهُ حتى يُسمَع جيدًا وان يوضح الفاظهُ كلها فيرتاح اليهِ السامع ولا يتعب من استماعهِ . وان يختار المواضيع التي تلذ لسامعيهِ ولا يعسر عليهم فهمها وان يجتنب كل ما يغيظ سامعيهِ او يعد نميمةً على غيرهم

اذا كنت تحدث آخر ودخل ثالث يسمع حديثك فاخبرهُ بخلاصة ما تقدَّم منهُ قبل ان تجري فيهِ

تجنَّب القهقهة والصياح والاكثار من كلمات التعجُّب والاستغاثة والندبة

تجنَّب الجدل واقامة الادلة الطويلة في الحديث فانها لا تصلح الَّا اذا كان المستمعون كلهم يهتمون بها

تجنَّب الاحاديث الخاصَّة بموضوع شغلك اذا لم يكن المستمعون من الذين يهتمون بهِ

لا تقطع حديث متكلّمٍ

باب الزراعة

القطن

ذهب المستر فودن سكرتير الجمعيَّة الزراعيَّة المصرية الى اميركا وبحث عن زراعة القطن فيها لكي يجمع الفوائد المتعلقة بذلك وينشرها في هذا القطر وقد وضع رسالة مسهبة في هذا الموضوع نقتطف منها ما يأتي

القطن الاميركي

يستغل من الولايات المتحدة الاميركية الآن نحو ٥٠ الى ٥٥ مليون قنطار كل سنة وهي نحو ثلاثة ارباع غلة القطن في الدنيا ومساحة الارض المزروعة قطنًا هذا العام ٢٩ مليون فدان وهي تزيد ٣٫٧ في المئة عمَّا كانت عليهِ في العام الماضي . ويمكن ان تزاد مساحة الاراضي التي تزرع قطنًا في الولايات المتحدة الاميركية ولكن الاميركيين لا يفعلون ذلك الَّا اذا ثبت لهم الربح من هذه الزيادة على قلة ما عندهم من العمال . واكثر ولايات اميركا زرعًا للقطن

ولاية تكساس فانهُ يزرع فيها ثلث القطن الاميركي . وهمُّ الاميركيين متجه الآن الى زيادة محصول الفدان لا الى زيادة عدد الافدنة التي تزرع" لان محصول الفدان عندهم اقل من قنطارين فلا عجب اذا اتجهت العناية الى زيادة المحصول لا الى زيادة المساحة

ثم ان القطن الاميركي دون القطن المصري في نوعهِ ما عدا النوع المسمَّى بالسي ايلند ولذلك يضطر الاميركيون ان يأخذوا جانباً من القطن المصري الى معاملهم ليمزجوهُ بقطنهم. ويقدَّر ثمن القطن الذي يأخذونهُ الآن سنويًّا من القطر المصري بنحو مليوني جنيه ولذلك يبذلون جهدهم لزرع انواع من القطن طويلة الالياف تقوم مقام القطن المصري وقد اخذوا من تقاوي القطن المصري الميت‌عفيفي واليانوفتش والاشموني وزرعوها في بلادهم . والخلاصة انهُ ليس من المحتمل ان يزيد محصول القطن الاميركي كثيرًا في المستقبل القريب ولكن يحتمل ان تزيد معامل القطن ويزيد طلب الصنَّاع لهُ ولاسيما في الولايات الجنوبية

القطن الهندي

الهند تأتي بعد الولايات المتحدة في مقدار القطن ومن المحتمل انها اول مواطنهِ وانهُ كان يزرع فيها منذ اربعة آلاف عام . ويزرع الآن في الهند ١٥ مليون فدان يبلغ حاصلها في السنة من ١٢ الى ١٣ مليون قنطار فمتوسط حاصل الفدان اقل من قنطار . والقطن الهندي حقير في نوعهِ كما انهُ قليل في محصولهِ لقلة الاعتناء بزرعهِ ولتقلبات الهواء عليهِ وعدم الاعتناء بحلجهِ ولا يصلح الاَّ للمنسوجات الرخيصة الثمن . وكانت الهند تناظر اميركا في زرع القطن واخيرًا فازت اميركا عليها. ولا يعوَّل الآن على القطن الهندي الاَّ اذا امحل القطن الاميركي. وقد اخذت معامل القطن تزيد في بلاد الهند فكان فيها ٢٧ معملاً منذ ثلاثين سنة وكانت تستعمل ١١٥٠٠٠ بالة ويبلغ عددها الآن ١٥٠ وهي تستعمل ١٥٠٠٠٠٠ بالة سنويًّا واكثر القطن الهندي يصدر الآن الى ممالك اوربا غير انكلترا . وقد بذلت العناية في اصلاح القطن الهندي على غير فائدة ولا ينتظر اصلاحهُ في المستقبل القريب

القطر المصري

"القطن المصري وان كان مقدارهُ قليلاً بالنسبة لبعض أقطان البلاد الاخرى الاَّ انهُ يفضل عليها لجودتهِ واصفاتهِ الخاصة ولاهميتهِ العظمى في اسواق الدنيا ويقدر متحصلهُ سنويًّا بنحو ٦ ملايين قنطار وهو مقدار زهيد جدًّا بمقابلتهِ بمحصول القطن الاميركي البالغ قدرهُ من ٥٠ الى ٥٥ مليون قنطار في حين انهُ يبلغ نحو نصف محصول البلاد الهندية على ان الفضل في وصول القطن المصري الى هذه الدرجة العظيمة والاهمية الكبيرة هو بلا شك راجع الى اتباع

طرق الري المستعملة في البلاد والتي يحق لنا ان نقول عنها انها من احسن واتم طرق الري في جميع بلاد الدنيا . ومن مزايا هذه الطرق ان الاهتمام بزرع القطن على الدوام في ازدياد واننا نعتقد بان سيدوم الحال على ذلك خصوصاً وقد تم بناء الخزانات الجديدة وكادت تنتهي مشروعات الري الاخرى. ويعد قطن القطر المصري بعد قطن سي ايلاند (جزر البحر) الذي ينمو في بعض الجزر عند شاطئ ولايتي كارولينا الجنوبية وجورجيا وبعض الجهات الموافقة لهُ في بلاد الولايات المتحدة اجود قطن في العالم ولا يمكن حفظ تلك السيادة التي نالها على اقطان البلاد الاخرى الاّ اذا دام متصفاً بصفاتهِ العالية . وتوجد بلاد اخرى في الدنيا يمكنها بلا ريب ان تنتج قطناً ولكن تكون مصر حذاءها مطمئنة الخاطر ما دامت تنتج قطناً صفاتهُ اعلى من صفات الاقطان الاخرى

"وزراعة القطن العادي الذي يبلغ طول تيلتهِ عقدة واحدة او اقل امر سهل في البلاد الحارّة والمعتدلة بخلاف انتاج القطن الطويل الشعر البالغ طول تيلتهِ عقدة وربعاً او اكثر فانهُ صعب الحصول عليهِ وكلما كان الطلب على المنسوجات القطنية الدقيقة في ازدياد فانهُ لا بد وان يكون الطلب على القطن الطويل الشعر كالقطن المصري في ازدياد ايضاً حتى وقد نرى اليوم ان الطلب يكاد يساوي المتحصل . ويظن بعضهم ان سيقل المتحصل عن المطلوب لتكاثر الطلبات عليهِ . ومما لا شك فيهِ ان المطلوب اخذ في الازدياد وكان يمكن ان يزيد عن ذلك لو امكن الحصول على تلك الاقطان باثمان رخيصة . ويدعي البعض جرياً على قاعدة المتحصل والطلب بانهُ كلما ظهرت الحاجة الى القطن كلما ازداد متحصلهُ وربما يكون ذلك صحيحاً الى حد معلوم غير ان النفقات على انماء المطلوب الزائد في اراضي القطن العادية ربما تزيد كثيراً الى درجة ان لا تساعد حالة الصناعة على دفع اثمان عالية توازي تلك النفقات الكثيرة . والامر المهم الذي يفيد الزارع المصري هو حال ارضهِ وطقسهِ الذي يساعدهُ على انتاج قطن جيد على انهُ لا يتأتى لهُ الطموح الى منافسة بعض البلاد الاخرى لقلة مجموع المتحصل من بلادهِ . وكما قلنا فان اهمية القطن المصري في الاسواق مؤسسة على علو درجتهِ ولا داعي للتذكير بان من الواجب حفظ تلك الدرجة قبل كل شيء لانهُ متى ساء حال القطن قليلاً فان نجاح مستقبلهِ يكاد يقف عند حدّهِ . هذا وكان طلب السوق على الاقطان الجيدة جدّاً محصوراً في القطن المصري ومقدار زهيد جدّاً من قطن سبقت الاشارة اليهِ ينمو في بعض جهات اميركا الموافقة . وكما ينتظر طبعاً على كل حال فان المساعي بذلت لانماء اقطان جيدة جدّاً وخصوصاً في الولايات المتحدة كذلك بذلت الهمّة لانماء القطن المصري في كثير

من البلاد الاخرى. ومن ذلك نرى ان مركز القطن المصري لا يبقى على حالهِ غير متزعزع. ومن الواجب علينا حينئذٍ بعد ان شاهدنا ذلك التزاحم ان نسعى جهدنا في حفظ درجة قطننا كما كانت في الماضي. وصناعة المنسوجات الدقيقة في الوقت الحاضر قاصرة على قطن البلاد المصرية وبعض الجزر الواقعة بجوار شاطئ ولايتي كارولينا الجنوبية وجورجيا وكذلك على قطن بعض اقاليم واقعة على طول شاطئ الاوقيانوس الاتلنتيكي الجنوبي وهو قطن سي ايلاند (جزر البحر) السابق ذكرهُ. ويوجد في وادي نهر الميسيسبي قطن طويل الشعر يعادل القطن المصري في جودتهِ. ولاظهار ازدياد الطلب على القطن الطويل الشعر يمكننا ان نلاحظ انهُ في مدة ١٢ عاماً آخرها موسم ١٩٠١ — ١٩٠٢ زادت انكلترا مقطوعيتها من القطن المصري نحو ٣٨ في المائة وزادت مقطوعية ممالك اوربا الباقية مقدار ١١٢ في المائة تقريباً والولايات المتحدة نحو ٦٨٠ في المائة وفي اثناء هذه المدة كان ازدياد المقدار المستهلك من قطن سي ايلاند ٩ في المائة في انكلترا و٢٠٠ في المائة في القارة الاوربية و١٥٠ في المائة في الولايات المتحدة وبلغ مجموع الزيادة في تلك المدة من القطن المصري ٣٧٤٤٥٣ بالة ومن قطن سي ايلاند ٣٦٠٦٥ بالة

المقادير المستهلكة من القطن المصري وقطن سي ايلاند

(مأخوذ من تقرير جمعية صنَّاع القطن في انكلترا الجديدة بقلم المستر كيتردج)

			قطن مصري بالة	قطن سي ايلاند بالة
انكلترا	- متوسط الموسمين	(١٨٨٨ - ١٨٨٩) و (١٨٨٩ - ١٨٩٠) -	٢٣٨٥٨٠	٢٣٧٥٣
"	- " "	(١٩٠٠ - ١٩٠١) و (١٩٠١ - ١٩٠٢) -	٣٢٨٨٨٥	٣٥٩٨٣
قارة اوربا	- " "	(١٨٨٨ - ١٨٨٩) و (١٨٨٩ - ١٨٩٠) -	١٧٣٠٠٥	٢٠٣١
قارة اوربا	- " "	(١٩٠٠ - ١٩٠١) و (١٩٠١ - ١٩٠٢) -	٣٧٦٥٢٥	٥٩٩٣
الولايات المتحدة	- " "	(١٨٨٨ - ١٨٨٩) و (١٨٨٩ - ١٨٩٠) -	١١٨٤٢	١٨٦٢٨
"	- " " "	(١٩٠٠ - ١٩٠١) و (١٩٠١ - ١٩٠٢) -	٩٢٤٧٠	٤٩٥٣٦

"والمسألة الآن هي هل يكفي متحصل تلك الاقطان لاستيفاء جميع الطلبات عليها اذا دام ازدياد الطلب على هذا الحال عشر سنوات أُخرى؟ اما في مصر فانهُ يؤمل كثيراً ان تتسع مساحة اراضي القطن ويتحصل منها على مقادير اكثر من المعتاد ولكن يظهر ان لا أمل هناك على الاطلاق في اتساع زراعة قطن جزر البحر في الاقاليم التي ينمو فيها الآن ومن الصحيح ان هناك اراضي يمكنها ان تنتج اقطاناً جيدة ولكن هل يكون في انتاجها ربح مع كثرة النفقات ذلك موضوع يشك فيهِ ومن الممكن ان تحسن طرق الري في الولايات المتحدة فيكون ذلك سبباً لترقي زراعة القطن فيها على ان ذلك بعيد الحصول وتحقيقهُ الآن غير ميسور وقد بلغ اعظم

يحصل في ايّ سنة من قطن سي ايلاند ١٠٤٠٠٠ بالة اي نحو ٤٠٠٠٠٠ قنطار ويظهر انهُ لا يؤمل اي زيادة فيهِ الاَّ اذا كان هناك باعث شديد غير عادي للاكثار من زراعتهِ والكسب الكبير منهُ. وتوجد اراضي متسعة في اجزاء الولايات الجنوبية يمكن ازدراعها بكلٍ من قطن سي ايلاند الجيد او القطن العادي على ان نفقة زرع الاول تكون كبيرة جدًّا ومتحصلهُ قليل الاَّ اذا كان هناك طبعاً فرق في الاثمان فيرجح الكسب من زرعهِ اكثر من القطن الاخير (العادي) الذي يكون متحصلهُ كبيرًا وقيمتهُ قليلة ولهذا السبب لا يهتم بزرع قطن سي ايلاند في هذه الاراضي على العموم

"وبتلخيص ما تقدم نقول ان الطلب على الاجناس الجيدة الدقيقة من القطن لفي ازدياد مستمرّ وان العالم كلهُ ينظر الى البلاد المصرية على الخصوص لاستيفاء معظم طلبهِ من ذلك القطن ومن واجب الزرّاع حينئذٍ ان يبذلوا غاية الجهد في حفظ درجتهِ العالية على ما هي عليهِ

"وسنتكلم فيما يلي على المساعي التي يتخذها ديوان الزراعة في الولايات المتحدة في اميركا نحو انتاج اقطان طويلة الشعر على اننا في الوقت نفسهِ بتحسين طرق الزرع العادية واستعمال الاسمدة الموافقة والارواء اللائق واتباع الارشادات القويمة التي تصلنا والانتفاع منها يمكننا ان ننتصر على غيرنا من زرّاع البلاد الاجنبية في انتاج قطن جيد جدًّا يفوق اقطانهم كثيرًا

روسيا

"ينمو القطن الآن بمقدار عظيم في روسيا الاسيوية وتركستان وبلغت زراعتهُ في تلك البلاد اوسعها في زمن نشوب الحرب الاميركية الاهلية عند ما كانت الازمة شديدة في اسواق روسيا وغيرها من ممالك اوربا وما هدئت الاحوال وانخفضت الاسعار الاَّ وتأخرت الزراعة فيها ثانية ولكنها نشطت من خمولها في السنوات الاخيرة ولم تزل في سبيل التقدم والانتشار

"والروسيا مضى عليها زمن من الازمان اشترت فيهِ من الولايات المتحدة ومصر كل مطلوبها تقريباً من القطن الخام. والوارد من القطن المصري الى الروسيا لصناعة المنسوجات الدقيقة هو الآن عظيم جدًّا وبلغ ذلك في السنة الماضية ٩٠٠٠٠٠ قنطار تقريباً والقطن الذي يزرع في بلاد تركستان اصلهُ اميركي وقد اهتمت الحكومة بانشاء حقول للتجارب في زراعة القطن وبنشر المقالات الزراعية عليها مما ساعد على تقدم تلك الزراعة في بلاد تركستان. واراضي القطن التي كانت مساحتها منذ ٢٠ عاماً مضت اقل من ١٠٠٠ فدان اتسعت الآن كثيرًا جدًّا على ان المزارع على العموم صغيرة ومعظم محصول القطن ينتجهُ صغار المزارعين ويبلغ متوسط

متحصل الفدان قنطارين وهو ليس بالكثير اما صفاتهُ فتماثل صفات القطن الاميركي اذ يبلغ طول شعرهِ عقدة واحدة ولونهُ جيد منتظم ولكنهُ خشن قليلاً

"ولو ان محصول القطن في الامبراطورية الروسية في ازدياد مستمر الآن ان ذاك الوقت الذي يكفي فيهِ حاصل بلادها القطني لسد حاجات اهلها منهُ بعيد. ونصف القطن المستعمل في الوقت الحاضر في معامل النسج فيها مجلوب من الخارج كذلك فان بازدياد اراضي القطن ازدادت الطلبات على البضائع القطنيَّة وفي الوقت نفسهِ نقص الوارد من القطن الاميركي الى الروسيا ممَّا جعل الزراع الاميركيين يخشون انهم سيلاقون من بلاد الروسيا منازعاً جديداً في التجارة القطنية وبالعكس فان طلبات الروسيا من القطن المصري تزداد عاماً فعاماً ويظهر من ذلك طبعاً كما سبق الكلام انهُ ما دمنا نحافظ على جودة قطننا المصري فاننا لا نخشى التقهقر في ميدان المزاحمة التجارية كما رأينا الحال مع القطن الاميركي العادي

"هذا وقد بذلت المساعي في بلاد الروسيا لزرع الانواع الجيدة من القطن كقطن سي ايلاند (جزر البحر) ولكنها لم تفلح لعدم موافقة الطقس لها على انهُ يؤمل على كل حال ان تزاد مساحة اراضي القطن في الروسيا اما امكان تصدير القطن الروسي الى الخارج فلا يتأتى وقوعهُ في المستقبل القريب

الصين

"تنتج بلاد الصين مقداراً عظيماً جداً من القطن ويحدو بنا الظن في تقديرهِ وان لم يظهر منهُ شيء في الاسواق الآ نادراً بانهُ يكون بين ٦ و٧ ملايين قنطار يستهلك على العموم في البلاد الصينية بخلاف بعض آلاف من البالات تصدَّر الى اليابان. اما اوصاف القطن الصيني فشعرهُ أبيض ناصع اشدّ نظافةً من القطن الاميركي او الهندي وهو قصير خشن لا يغزل جيداً كالقطن الهندي ويقتصر على غزلهِ ونسجهِ بالايدي

هذا وطرق زرعهِ في الصين اولية بان تبذر تقاويهِ بذراً على الارض كما تبذر تقاوي القمح او غيرهِ من المحصولات الحبوبية وعلى ذلك تقرب شجيراتهُ بعضها من بعض كثيراً وتكون قصيرة لا تحمل ثمراً كثيراً وتنتج حينئذٍ قطناً قليلاً وقد يحسنون في بعض الجهات طرق زرعهِ ولكن ذلك قليل. وتوجد في الصين معامل قليلة للغزل لا تفي بحاجات الاهالي ولذلك فان الوارد اليها من البضائع القطنية كثير. ويقدر محصول قطن كوريا بنحو مليوني قنطار يستهلك جميعهُ داخل البلاد وشعر هذا القطن الاخير اطول وادق من شعر القطن الصيني

اليابان

"تقدمت الصناعة في بلاد اليابان في السنوات الاخيرة تقدماً يذكر وخصوصاً في صنع المنسوجات القطنية التي لاقت نجاحاً عظيماً وكان اليابانيون يغزلون وينسجون القطن بايديهم او بآلات صغيرة يديرونها بانفسهم ومنذ ١٥ عاماً انشئت في بلادهم المعامل الكبيرة للغزل والنسيج بقدر ما يحتاجون . اما مقدار محصل القطن في اليابان فليس بالكبير ويقدر بنحو ٣٠٠٠٠٠ قنطار وشعرهُ قصير جداً وخشن وزراعتهُ ليست آخذة في الازدياد ويظهر ان اهم استعمال لهُ هو خلطهُ بالاقطان الاجنبية الجيدة التي تجلب من بلاد الهند واميركا والصين والنجاح العظيم الذي نالتهُ اليابان في صناعة القطن جعلها في مركز مكين تضارع بهِ انكلترا والهند في مصنوعاتهما في اسواق الصين والبلاد الشرقية . وسوف تزداد صادرات اليابان من المنسوجات القطنية عاماً فعاماً . ومعامل اليابان الى الآن تصنع البضائع القطنية الواطئة وليس هناك سبب للظن ان ستبقى حالتها على ذلك للابد

"ومن المرجح ان اليابان تبقى تبتاع القطن المصري وتزيد منهُ . وبلغ المصدر اليها منهُ في العام الماضي ١١٣٢٢ بالة او ٨٠٠٠٠ قنطار تقريباً" ستأتي البقية

باب التقريظ والانتقاد

كتاب نهج البلاغة

وهو ما جمعهُ الشريف الرضي في اواخر القرن الرابع على انهُ من كلام الامام علي بن ابي طالب بل من محاسن خطبهِ وكتبهِ وحكمهِ وادبهِ . وقال " ان روايات كلامهِ تختلف اختلافاً شديداً فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجههِ ثم وُجد بعد ذلك في رواية أُخرى موضوعاً غير وضعهِ الاول اما بزيادة مختارة او بلفظ احسن فتقتضي الحال ان يعاد استظهاراً للاختيار وغيرةً على عقائل الكلام ". وليس الغريب ان يقع هذا الاختلاف في روايات كلام عاش صاحبهُ ومات قبل ان جُمع باكثر من ثلاثة قرون بل الغريب ان يحفظ منهُ شيء

وكما وقع لهذا الكتاب ان جمعهُ امام كان في زمانهِ انجب سادات العراق كاتباً بليغاً متين العبارات سامي المعاني قيّض الله لهُ ان شرحهُ ونشرهُ الامام الاكبر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حالاً . فطبع مرتين قبل هذه المرَّة ونفدت نسخهُ كلها لكثرة الرغبة

فيهِ والاقبال عليهِ وطُبع الآن طبعة ثالثة بالشكل الكامل . وقد قدَّم لهُ الشارح مقدمة مسهبة بيَّن فيها مزاياهُ وهو حقيق بها وهي حقيقة بهِ لانها بلغتهُ في بلاغة عبارتها وذكر فيها طرفاً من ترجمة الشريف الرضي اتماماً للفائدة . ولا نرى وصفاً لهذا الكتاب وشرحهِ ابلغ من ان ننشر امثلة منهما . فمن الخطب قولهُ

أَلا وان الدنيا قد تصرمت وآذنت بوداعٍ وتنكَّر معروفها وادبرتْ حذَّاء [١] فهي تحفزُ بالفناء سكَّانها [٢] وتحدرُ بالموتِ جيرانها وقد [٣] امرَّ منها ما كان حلْواً . وكدرَ منها ما كان صفواً [٤] فلم يبقَ منها الاَّ سملة كسملةِ الإداوةِ [٥] اوجرعةٌ كجرعةِ المقلة . لو تمززها الصديانُ لم ينقع [٦] . فأزمعوا عبادَ الله الرحيلَ عن هذه الدارِ . المقدورِ على اهلها الزوالُ [٧] ولا يغلبنكم فيها الاملُ ولا يطولنَّ عليكم الامدُ . فوالله لو حننتم حنينَ الوُلهِ العجالِ [٨] ودعوتم بهديلِ الحمامِ [٩] وجأرتم جؤارَ متبتلِ الرُّهبانِ [١] وخرجتم الى الله من الاموالِ والاولادِ التماسَ القربة اليهِ في ارتفاع درجةٍ عندهُ او غفْرانِ سيئة احصتها كتبةُ . وحفظها رسلهُ [٢] لكان قليلاً فيما أرجو لكم من ثوابهِ واخافُ عليكم من عقابهِ . والله لو انماثت قلوبكم انمياثاً [٣] وسالت عيونكم من رغبةٍ اليهِ او رهبةٍ منهُ دماً ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية [٤] ما جزت اعمالكم ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم انعمهُ عليكم العظام وهداهُ اياكم للايمانِ [٥]

---

(١) حذاء مسرعة ورحم حذاء مقطوعة غير موصولة وفي رواية جذاء بالجيم اي مقطوعة الدر والخير

(٢) تحفزهم تدفعهم وتسوقهم حفزهُ يحفزهُ دفعهُ من خلفهِ او هو بمعنى تطعنهم من حفزهُ بالرمح طعنه

(٣) تحدر بالراء من باب نصر وضرب اي تحوطهم بالموت وفي رواية وهي الصحيحة تحدو بالواو بعد الدال اي تسوقهم بالموت الى الهلاك فتكون الفقرة في معنى سابقتها موكدة لها (٤) امر الشيء صار مرًّا وكدر كفرح كدرًا وكظرف كدورة تعكر وتغير لونهُ واختلط بما لا يستاغ هو معهُ (٥) السملة محركة بقية الماء في الحوض والاداوة المطهرة (اناء الماء الذي يتطهر بهِ) والمقلة بالفتح حصاة يضعها المسافرون في الماء ثم يصبون الماء فيهِ ليغمرها فيتناول كل منهم مقدار ما غمرها لا يزيد احدهم عن الآخر في نصيبهِ يفعلون ذلك اذا قلَّ الماء وارادوا قسمتهُ بالسوية (٦) التمزز الامتصاص قليلاً قليلاً والصديان العطشان وقولهُ لم ينقع اي لم يرق (٧) فازمعوا الرحيل اي عزموا عليهِ يقال ازمع الامر ولا يقال ازمع عليهِ وجوزهُ الفراء بمعنى عزم عليهِ واجمع والمراد من العزم على الرحيل مراعاتهُ والعمل لهُ (٨) كل انثى فقدت ولدها فهي واله ووالهة والعجول من الابل التي فقدت ولدها (٩) هديل الحمام صوتهُ في بكائهِ لفقد الفهِ

(١) جأرتم رفعتم اصواتكم والجوار الصوت المرتفع اي تضرعتم الى الله بارفع اصواتكم كما يفعل الراهب المتبتل والمتبتل المنقطع للعبادة (٢) المراد من الرسل هنا الملائكة الموكلون بحفظ اعمال العباد

(٣) انماثت ذابت (٤) ما الدنيا باقية اي مدة بقائها (٥) قولهُ ما جزت جواب لو انماثت وقولهُ انعمهُ عليكم العظام مفعول جزت اي ما كافأ ذلك انعمهُ الكبار عليكم وقولهُ ولو لم تبقوا شيئاً الخ اعتراض بين الفاعل والمفعول لبيان غاية النفي في الجواب وقولهُ وهداهُ اياكم عطف على انعمهِ عطف الخاص على العام فان الهداية الى الايمان من اكبر النعم

ومن الكتب قولهُ

اما بعدُ فان تضييعَ المرء ما وُلّيَ وتكلفهُ ما كُفيَ (١) لعجزٌ حاضرٌ ورأيٌ متبرٌ . وان تعاطيك الغارةَ على اهل قرقيسيا (٢) وتعطيلك مسالحك التي وليناك ليس بها من يمنعها ولا يردُّ الجيش عنها لرأيٌ شعاعٌ . فقد صرتَ جسرًا لمن اراد الغارةَ من اعدائك على اوليائكَ غير شديد المنكبِ (٣) ولا مهيبِ الجانبِ ولا سادٍّ ثغرةً ولا كاسرٍ شوكةً ولا مغنٍ عن اهل مصره (٤) ولا مجزٍ عن اميرهِ

ومن الحكم والادب قولهُ

قال ع ليس بلدٌ بأحقَّ بك من بلدٍ (١) خيرُ البلاد ما حملكَ

وقال ع (وقد جاءهُ نعيُ الاشترِ رحمهُ الله) مالكٌ وما مالكٌ (٢) لو كان جبلاً لكان فندًا لا يرتقيهِ الحافر ولا يوفي عليهِ الطائرُ (والفندُ المنفردُ من الجبال)

وقال ع قليل مدوم عليهِ خير من كثير مملول منهُ

وقال ع اذا كان في رجلٍ خلَّة رائقة فانتظروا اخواتها (٣)

وقال ع (لغالب بن صعصعة ابي الفرزدق في كلام دار بينهما) ما فعلت ابلك الكثيرة قال ذعذعتها الحقوق (٤) يا أمير المؤمنين (فقال ع) ذلك احمد سبلها

وقال ع من اتجر بغير فقهٍ فقد ارتطم في الرباء (٥)

والكتاب حري ان يكون في يد كل طالب من طلبة العربية ولا سيما بطبعتهِ الثالثة لان فيها " زيادات في الشرح تزيد الكلام ايضاحاً والمعاني بسطاً "

---

(١) تضييع الانسان الشان الذي تولى حفظهُ وتجشمهُ الامر الذي لم يطلب منهُ وكفاهُ الغير ثقلهُ عجز عن القيام بما تولاهُ ورأي متبر كمعظم من تبره تتبيرًا اذا اهلكهُ اي هالك صاحبهُ

(٢) قرقيسيا بكسر القافين بينهما ساكن بلد على الفرات والمسالح جمع مسلحة مواضع الحامية على الحدود ورأي شعاع كسحاب اي متفرق اما الراي المجتمع على صلاح فهو تقوية المسالح ومنع العدو من دخول البلاد

(٣) المنكب كمسجد مجتمع الكتف والعضد وشدتهُ كناية عن القوة والمنعة والثغرة الفرجة يدخل منها العدو (٤) اغنى عنهُ ناب منابهُ وقائد المسالح ينبغي ان ينوب عن اهل المصر في كفايتهم غارة عدوهم واجزى عنهُ قام مقامهُ وكفى عنهُ

(١) يقول كل البلاد تصلح سكنًا وانما افضلها ما حملك اي كنت فيهِ على راحة فكأنك محمول عليهِ

(٢) مالك هو الاشتر النخعي والفند بكسر الفاء الجبل العظيم والجملتان بعدهُ كناية عن رفعتهِ وامتناع ثمنهِ واوفى عليهِ وصل اليهِ (٣) الخلة بالفتح الخصلة اي اذا اعجبك خلق من شخص فلا تعجل بالركون اليهِ وانتظر سائر الخلال (٤) ذعذع المال فرقهُ وبددهُ اي فرق ابلي حقوق الزكاة والصدقات وذلك احمد سبلها جمع سبيل اي افضل طرق افنائها (٥) ارتطم وقع في الورطة فلم يمكنهُ الخلاص والتاجر اذا لم يكن على علم بالفقه لا يامن الوقوع في الربا جهلاً

المقامات العشر

هي عشر من مقامات الحريري انتخبها حضرة الشيخ محمد المبارك الجزائري وشرح الفاظها اللغوية وطبعها في كتاب صغير يباع بثلاثة غروش لكي يسهل على الطلبة اقتناؤهُ. والشرح حسن وافٍ بالغرض لكنهُ لا يخلو من كلمات قد تخفى على الطالب كقولهِ في تفسير السمل انهُ ثوب خلق وقولهِ في تفسير الثج انهُ سفك دماء البدُن. لكن الكلمات التي من هذا القبيل قليلة

كتاب تربية الاطفال

وضع هذا الكتاب حضرة الدكتور عبد العزيز نظمي الطبيب الاختصاصي لامراض العيون والاطفال من كليتي منبيه وباريس جعلهُ على سبيل مذاكرات مع امرأة زارها وهي حامل واوصاها وصايا صحيَّة وزاد في النصح والارشاد فقال للمرأة "اني لا اخالكِ الاَّ عازمة على استحضار مرضعة لولدكِ بمجرَّد وضعهِ ولكني بصفتي حكيمًا اقول لكِ انكِ لو اتيتِ هذا العمل تكونين قد اتيتِ ذنبًا وجنيت جناية كبرى يعاقب عليها القانون كما سأُبينهُ لكِ". ولا ندري بموجب اي مادَّة من القانون تعاقب من ترضع طفلها من غير لبنها. الاَّ ان المؤلف اصاب في حث الامهات على ارضاع اطفالهنَّ من لبنهنَّ اذا كنَّ قادرات على ذلك لا "مهما كانت حالتهنَّ الصحيَّة" كما قال. والكتاب حافل بالنصائح المفيدة في تربية الاطفال فنثني على همة المؤلف ونتمنى لكتابهِ الانتشار التام

المعاني

وهو الجزء الثالث من كتاب الاعراب عن قواعد لغة الاعراب الَّفهُ حضرة الكاتب الاديب رشيد افندي عطية احد اساتذة المدرسة البطريركية في بيروت وجعل مزيتهُ على المتداول من كتب المعاني بان اردف كل قاعدة من قواعدهِ بتمرين وكل باب بتمرين عام ثم ذيَّل الكتاب بتمرين مطوَّل وبسط ما كان مشكلاً من المتون وفسَّر الكلم اللغوية التي وردت في متنهِ وشرحهِ وتمارينهِ في جدول في آخر الكتاب، وكل ذلك من المزايا التي تقرب هذا العلم من اذهان الطلبة وتجعلهُ عمليًّا ونظريًّا معًا. مثال ذلك ما ورد تمرينًا في قواعد تأخير المسند وتقديمهِ

"اذا اردت اخبار زيد ان عندك صديقين واستزرتهُ فماذا تقول ج عندي صديقان فهل لك ان تزورني بتقديم المسند (عندي) اذ لو قلنا صديقان عندي لتوهم المخاطب لاول الامر

ان الظرف صفة للصديقين وان الخبر في ما يلي والذي يحمله على ذلك كون الصديقين نكرة تحتاج الى وصف لجواز الابتداء بها ونحن نريد الاخبار عن وجود الصديقين لا وصفهما . وهذا التقديم هو مقتضى الحال

اذا اردت تعظيم زيد لعلمهِ فماذا تقول لهُ . ج عالم انت يا زيد بتقديم المسند للتعظيم

لكل جديد لذة غير انني وجدت جديد الموت غيرَ لذيذِ

المسند اليهِ لذة والمسند لكل وقدم ليتقرر انهُ خبر لا صفة فلو اخّر وقيل لذة لكل جديد لتوهم السامع لاول الامر انهُ صفة لهُ اي لذة كائنة وهو خلاف المقصود لان مراد الشاعر الاخبار عن اللذة لا وصفها

سلام الله يا مطرٌ عليهِ وليس عليك يا مطرُ السلام

المسند اليهِ (السلام) والمسند (عليك) وقدم لان ذكرهُ اهم عند السامع فهو يعلم بوقوع السلام ولكنهُ يطلب ان يقال لهُ على من وقع فلو قيل وليس السلام عليك يا مطر لما كان بليغاً اذ لم يراعَ فيهِ مقتضى الحال التي تدعو الى التقديم

ان في جنوحك عن سبيل الرشاد واتباعك مسالك الضلال لخطأً عظيماً :

المسند اليهِ (خطأ) لانهُ كان مبتدا قبل دخول ان والمسند الجار (في جنوحك) وقدم للتشويق اي ان طول الكلام يبعث في نفس السامع الرغبة في ذكر المسند اليهِ لانهُ ينتظر بفروغ صبر الوقوف على نتيجة الجنوح عن سبيل الرشاد واتباع مسالك الضلال . فلو قلنا خطأ عظيم في جنوحك الخ لما كان بليغاً لعدم مراعاة الحال الداعية الى التقديم لان المعلول الذي توقفت عليهِ تلك العلة الطويلة اذا ذكر اولاً لم يكن لهُ وقع النفس الخ "

وعلى هذا النمط بسطت قواعد المعاني والبيان . وحبذا لو أُتقن تصحيح الكتاب قبل طبعهِ

الكاروز المنير

الكاروز باللغة المصرية الكارز او المبشر وقد سميت بهِ مجلة دينية جديدة انشأها حضرة الفاضل جرجس افندي بياضي وجعل مدارها على المباحث الدينية حسبما هي واردة في التوراة والانجيل على ما يفهمهُ او يفسرهُ علماء الديانة المسيحية كقولهِ في الكلام على سفر دانيال ان تاريخ العالم يشهد بان معظم الحوادث التي تنبأ عنها دانيال النبي قد تمَّ حرفياً في حينهِ وبعضها يتم في عصرنا الحاضر فالبقية ستتم في حينها حتماً . وقد خالف اكثر علماء الكنيسة احياناً في بعض الاحكام كقولهِ " ان دانيال اختار الطعام المناسب الذي اقرّت عليهِ نطس الاطباء باوفقيتهِ

للصحة الانسانية وهو الطعام الذي عينهُ الله تعالى للانسان منذ البدء". وكقولهِ "ان الانسان لم يخلق ليأكل الحيوان". وممَّا قالهُ ان دانيال تنبأ عن انقضاء العالم وان جميع البينات تبرهن اننا الآن في وقت النهاية المنوه عنهُ في سفر دانيال. فعسى ان لا يكثر صاحب هذه المجلة من حث اهل وطنهِ على اكل البقول والحبوب والامتناع من اكل اللحم لان الامم التي تبطل اكل اللحم تضعف قواها العقلية والجسديَّة وتذل لغيرها وان لا يؤكد لهم قرب وقت النهاية لان ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلم بهما احد ولا ملائكة السماء

رسالة في الطاعون البقري

وضع هذه الرسالة حضرة الدكتور محمد بك صفوت مفتش اول مصالح الصحة سابقاً وتكلم فيها اولاً عن المرض واعراضهِ وطرق علاجهِ ثم استطرد الى الكلام على انواع اللقاح التي استعملت هذا العام في القطر المصري ولام مجلس الصحة البحرية والكورنتينات على دخولهِ القطر وختم الرسالة بالاوامر العالية التي صدرت في صدد اوبئة المواشي

رواية آدم وحواء

رواية تمثيلية تمثل سقوط آدم من الفردوس على ماجاء في التوراة وتزيد عليهِ وصف الشياطين في مجتمعاتهم ممَّا قد يعلق بالعقول ويزيد الوساوس. وفي الرواية شعر حسن وهي تذكّر القارئ بشعر ملتون في هذا الموضوع ولكن شتان بين الشعرين فان ملتون بلغ درجة الاعجاز في اختراع المعاني وانتقاء الالفاظ حتى قيل ان شعرهُ ابلغ شعر نظمهُ البشر في كل زمان ومكان (راجع ترجمة ملتن في المجلد العاشر من المقتطف)

مناهج الحياة

كتاب فلسفي الَّفهُ حضرة الكاتب المجيد نقولا افندي حداد جمع فيهِ حقائق كثيرة مما يذكر في باب السعي والعمل والاقتصاد ملأت نحو مئتي صفحة. واكثر الكلام فيهِ مجرَّد خالٍ من الامثلة التي تقرّب المراد من ذهن القارىء وترسخهُ فيهِ كالامثلة المذكورة في كتاب سر النجاح وهو مع ذلك كبير الفائدة لمن يطالعهُ بالتأني ويهذب نفسهُ بما فيهِ

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

اظهار حقيقة

الى منشئي المقتطف

بعد اهداء ما يليق بمقامكما من التبجيل والثناء الجميل قد اطلعنا على الجزء الثامن من مجلتكم ووقع النظر على المقالة المعنونة بمنزلة الشعر من التاريخ من مقالات الاديب الفاضل امين ظاهر خير الله فرأينا فيها فرائد فوائد وليتهُ اطنب فيها المقال واستوعب جميع ما كان عليهِ القوم من السير والاحوال وغير ذلك من شؤُونهم كمواسمهم واعيادهم واديانهم وعقائدهم وراجع لذلك كتب الائمة المصنفة في اصنامهم وانوائهم ونسيئهم واديانهم ككتاب الاصنام للجاحظ وكتاب الاصنام لابن هشام الكلبي وكتاب الخالع في اديان العرب وكتاب الانواء لابي حنيفة الدنيوري وكتاب الميسر لابن قتيبة وكتاب المعمرين للسجستاني ونحو ذلك مما لا تخلو عنهُ خزائن كتب المحروسة وعليهِ ان يدقق النظر ويمعنُ فيما ينقلهُ وليعرضهُ على النقاد قبل نشرهِ والاَّ فلا يأمن وخز أسنة مواخذات فرسان هذا الميدان فان في كلامهِ مواقع للنظر غير ان منها ما هو سهل يغمض عنهُ ومنها ما يشينه ويحط من فضلهِ مثال ذلك انهُ قال ٢٤ نضح الخيل بالخمر وكان الغزاة اذا اقبلوا منتصرين خرجت النساء للقائهم و بايديهن زجاجات الخمر لينضحن جيادهم بها واستشهد على ذلك بقول حسان

تظل جيادنا متمطرات يلطمهن بالخمر النساء

انتهى . ولا اعدُّ ذلك الاَّ من سهو القلم لا من زلة القدم فان صغار الطلبة لا يذهب عليهم مثل ذلك ومن اين للعرب مثل هذه العادة الرعناء والقوم كانوا من اعقل الناس وهل الخمر من الطيب حتى ينضح بها وجوه جيادهم . وهذا الغلط سرى اليهِ من عدم فهمهِ لمعنى البيت وعدم وقوفهِ على قصتهِ المشهورة . وحسان هذا كان من اجلة اصحاب رسول الله صلى الله عليهِ وسلم

وكان شاعر الاسلام والخمر عندهم حرام يومئذٍ نجسة الاستعمال ومرادهُ بقولهِ متمطرات مسرعات يقال مطرت الطير وتمطرت اسرعت في هويها وتمطرت الخيل ذهبت مسرعة وجاءَت متمطرة اي مسرعة يسبق بعضها بعضاً وتمطر بهِ فرسهُ اذا جرى واسرع والخُمُر بضم الميم جمع خمار لا بسكونها كما وهم . وهذا البيت من جملة ابيات مذكورة مع قصتها في سيرة ابن هشام وفتح الباري. وقال ابن رشيق القيرواني في باب فال الشعر وطيرتهِ من كتابهِ العمدة في محاسن الشعر وآدابهِ تفاءَل حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليهِ وسلم بفتح مكة فقال في كلمتهِ المشهورة يخاطب بذلك مشركي اهل مكة ويتوعدهم

عدمنا خيلنا ان لم تروها تثير النقع موعدها كداءُ
ينازعن الاعنة مصغيات على اكتافها الاسُل الظماءُ
تظل جيادنا متمطرات يلطمهن بالخُمُر النساءُ

فلما كان يوم الفتح اقبل النساءُ يمسحن وجوه الخيل وينفضن عنها الغبار بخُمُرهنَّ فقال قائل لله در حسان اذ يقول وانشد الابيات . وروى قوم ان الناس امروا بالمسير الى كداء ليتفأَّلوا بهذا البيت ليصح وكان الامر كما قال . وما جرأَني على بيان ذلك الاَّ مزيد حبي للقوم وكراهة ان يلصق بهم ما هم بريئون عنهُ وقد ظهر لنا انتقادات أُخر على مقالات ادرجتموها في مجلتكم لعلنا نرى فرصة فنعرضها في وقت آخر والسلام

مأمور معاينة الكتب
في معارف بغداد
محمد رشيد

سلخ رجب سنة ١٣٢١

الرجال ذوو الرؤُوس الطيارة

حضرات الافاضل اصحاب مجلة المقتطف الغراء

لما اطلعت على الجواب المدرج في العدد العاشر من مجلة المقتطف عن السؤَال الذي كنت ارسلتهُ اليكم في الشهر التاسع من هذه السنة عثرت على شيءٍ في هذا الموضوع فأَحببت ان ارسل الى حضراتكم بترجمتهِ وهو :

ورد في دائرة المعارف الصينية (San-Sai-tai-hœi). انهُ في داخل بلاد جاوى الكبيرة (Grand yawa). كان يوجد نوع من الرجال وهو هذا الجنس ذوو الرؤُوس الطيَّارة

ومن صفاتهم : ليس لهم اجفان — ورأْسهم ينفصل من جسمهم ويطير

وفي حكم الملك ڤوتي من عائلة هان الصينية قد ارسل سكان بلدة انج سي (Ing-si)

رسالية الى الممالك الجنوبية :فوجدوا فيها رجالاً ذوي سوق واذرع تنفصل عن الجسم ورؤوسهم تطير ثم تعود اليهم : تطير الرؤوس نحو الجنوب والايدي اليمنى نحو المياه الغربية واليسرى نحو المياه الشرقية وفي الصباح تعود الرؤوس والايدي وتتصل بالجسم . وفي حالة ما اذا كانت الريح شديدة تذهب الريح بايديهم الى اقصى مياه المحيط

وورد في الكتاب المسمى "الاشياء الغريبة في الممالك الجنوبية "(Nan-fong-i-wou) ان مقر هذا الجنس في جنوب الجبال الواقعة بهذه البلاد ووسط جبال .(Ki-toung) :ومن علاماتهم التي يعرفون بها : وجود اثار جروح حمراء على قفاهم

كيفيَّة طيران الرأس — حينما يأتي الليل يظهر على وجوههم علامات المرض وتصير اذانهم اشبه باجنحة وفجأة تطير رؤوسهم قاصدة شواطىء الانهار باحثة على الحشرات ذات القشرة الصلبة (فقط) ثم تعود وتلتصق بالجسم كما كانت قبلاً فيمتلئ البطن من الغذاء

وورد في الكتاب المسمى .(tai-ping kowang-ki) : بلاد المتوحشين ذوي الرؤوس الطيارة واقعة في شرق بلاد السين السين (اي الصين) وفي الجنوب الغربي لبلدة (لونج تشنج) .(Loung-tchung) وعرض هذه البلاد ١٠٠٠ فرسخ صيني وبها ملاحات كثيرة — واما نساء هؤلاء الرجال واطفالهم ففيهم علامة الجرح الاحمر فقط

هذا ما ورد مناسباً لهذا الموضوع فبادرت بترجمتهِ وارسالهِ اليكم لتكرموا بالاطلاع عليهِ ونشرهِ والذي اراهُ ان كل ما ذكر من الخرافات او من الحكايات والقصد منهُ وجود اناس غريبة خلقةً وخلقاً

عطا فهمي

مترجم بدائرة دولة والدة خديو

(المقتطف) لقد اصبتم في قولكم ان كل ذلك من الحكايات الخرافية

اقتراح

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

معلومكم ان راس الرجاء الصالح بجنوب افريقيا يسامتهُ تقريباً في شمال الخريطة الافريقية "راس أدار" الواقع بتراب المملكة التونسية وهذا الراس يسميهِ الافرنج "كاب بون" اي الراس الطيب وقد بحثت عن اصل هاتهِ التسمية بوجهتيها العربيَّة والافرنجيَّة فلم اعثر على ما يشفي الغليل لاسيما واني لم اوفق لوجود معنى للفظ "أدار" الموجود في التسمية العربية ولذلك وجهت وجهتي نحو مقتطفكم ملتمساً الاجابة عن تاريخ التسميتين

تونس في ٣ سبتمبر سنة ١٩٠٣ الامضاء — م . ب . خ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) مدة الحمل

دمياط . عبد الحميد افندي الجمال ·

من المعلوم ان مدة الحمل تسعة اشهر وقد يولد الجنين في الشهر السابع او الثامن وقد تتأخر الولادة الى الشهر العاشر او الحادي عشر او الثاني عشر وقيل ان مدة الحمل قد تبلغ ثمانية عشر شهرًا فهل ذلك صحيح وما هي أطول مدة الحمل

ج ان مدة الحمل العادية تسعة اشهر وعند التدقيق ٢٧٥ يوماً وقد تزيد على ذلك او تنقص عنهُ بضعة ايام . وذكرت احوال نادرة جداً طال فيها الحمل ٣٣٠ يوماً الى ٣٣٤ يوماً وهي اطول مدة ذكرها الاطباء

---

(٢) كتب فلسفة عربية

كفر الزيات . ناشد افندي فريد ·

افيدونا عن اسماء احسن الكتب في انواع الفلسفة باللغة العربية

ج اذا اردتم الفلسفة العقلية فلم نرَ كتاباً افضل من كتاب الدكتور بلس رئيس المدرسة الكلية الاميركية السابق

واذا اردتم الفلسفة الطبيعية فكتاب المعلم اسعد الشدودي لا يزال اوسع من غيرهِ ولكن قد اتسع علم الفلسفة الطبيعية كثيرًا من حين طُبع الى الآن

(٣) كتب باكون وديكارت

ومنهُ . اي كتب باكون وديكارت تستحسنون مطالعتها

ج مقالات باكون Essays وكتاب ديكارت في النظام Discours de la Méthode

(٤) العلم ووجود الشيطان

ومنهُ . ان كان العلم لا يناقض الدين كما يقولون فباي برهان يثبتون وجود الشيطان ووسوستهُ في صدور الناس

ج ان الذين يثبتون وجود الشيطان يثبتونهُ بادلة كتابيَّة لا يتعرَّض العلم لنفيها ولا لاثباتها ولا علاقة لوجود الشيطان بمناقضة العلم للدين او بموافقتهِ لهُ

---

(٥) الحويلة وفيشون

طنطا . الخواجه هرون حسون اين موقع بلاد الحويلة المذكورة في الاصحاح الثاني من

سفر التكوين وما اسم النهر الذي هناك المسمّى في التوراة فيشون

ج ظن بعض المفسرين انها بين البحر الاسود وبحر قزبين وظن غيرهم انها بين دجلة والفرات ممَّا يلي بجر فارس. وظن البعض ان نهر فيشون هو نهر الكنج في بلاد الهند وظن غيرهم انهُ نهر السند وظن آخرون غير ذلك ولا تعلم الحقيقة

(٦) الدم والدماغ

مصر. امين افندي عمر. استيقظ بعض الاحيان من النوم منزعجًا فاشعر بدوي فوق رأسي كصوت سير المركبات وبعد قليل استيقظ تمامًا وانا مندهش ممَّا كنت اشعر بهِ. حدث لي ذلك مرتين وعلتهُ بسرعة استيقاظي من النوم ثم قرأت مقالة فلسفة النوم في الجزء الاخير من المقتطف فتمثَّلت لي الحقيقة وهي ان الدم قلَّ من رأسي فلما استيقظت استردَّ الراس الدم الذي فقدهُ فسمعت لهُ هذا الدوي وكنت اشعر احيانًا بسير الدم من بدني الى رأسي ولذلك فانا اعتقد ان الدم يقل من الراس وقت النوم وان الاتصال بين حويصلات الدماغ ينقطع وقت النوم كما ذهب ديفال فهل تعليلي للصوت الذي سمعتهُ في محلهِ

ج لو كان هذا الصوت ناتجًا عن ورود الدم الى الدماغ لوجب ان تسمعوهُ كل يوم او في اكثر الايام ولذلك نرجح انهُ ناتج عن شيء من الزكام في الاذن الباطنة او عن عرَض مثل هذا. وذلك لا ينفي ورود الدم الى الدماغ وقت اليقظة

(٧) الغذاء في السمك

موبيل باميركا. الخواجه ميخائيل الياس نعمان. علمتُ من بعض الاطباء وقرأت في احدى الجرائد ان الاسماك غير مغذية للجسم بل هي مضرة. وقد قرأت في الجزء التاسع من مقتطفكم ان الاسماك من اكثر الاطعمة غذاء فاي القولين اصح

ج لا نتذكر اننا نشرنا شيئًا من ذلك في الجزء التاسع من اجزاء هذه السنة وسواء نشرناهُ هناك او لم ننشرهُ فاننا نشرنا غير مرة ان السمك من الاطعمة المغذية جدًّا ويختلف مقدار ما فيهِ من الغذاء بحسب انواعهِ وكلهُ يأتي بعد لحم الضان والبقر في مقدار الغذاء فان البروتاين فيهِ اكثر مما في لحم الضان والبقر ولكن الدهن فيهِ اقل مما فيهما والماء فيهِ اكثر مما فيهما. وليس العبرة بمقدار الغذاء في الطعام بل بمقدار ما يهضم منهُ وما يغتذي الجسم بهِ. ويقال جملة ان السمك الجيد من اكثر الاطعمة غذاء وقد حُلل لحم البقر السمين ولحم الغنم السمين ولحم السلمون وهو من اجود انواع السمك فوجد مقدار البروتاين في الاول ١٧ في المئة وفي الثاني ١٥ في المئة وفي الثالث ٢٢ في المئة. ومقدار الدهن في الاول ٢٧

في المئة وفي الثاني ٣٨ في المئة وفي الثالث ١٤ في المئة . وعلى البروتاين والدهن يتوقف غذاء اللحم . ولا عبرة بما يقال غير ذلك ولكن اذا فسد السمك صار سمًّا زعافًا

(٨) الثعابين في البيوت

ومنهُ . هل من واسطة لمنع دخول الثعابين الى البيوت وما هي

ج ان القطط وبنات عرس تأكل الثعابين او تطردها فاذا ربيت في البيوت فالغالب انها تمنع الثعابين من دخولها . ثم ان الثعابين التي تدخل البيوت وتقيم فيها لا تكون سامَّة الاَّ نادرًا جدًّا فلا خوف منها

(٩) اتحاد السوريين

ومنهُ . هل من واسطة لاتحاد السوريين وضم كلمتهم وما هي وهل اذا عُمل باقتراح جريدة الهدى القائلة بوجوب تأليف جمعيات في المدن الكبيرة في مصر واميركا وربطها بعضها ببعض تحصل النتيجة المطلوبة

ج لا تجتمع كلمة قوم ولا فائدة من اجتماعها الاَّ اذا كان لهم غاية محدودة يسعون اليها . واجتماع كلمة السوريين من اصعب الامور لان المذاهب الدينية فرَّقت بينهم منذ مئات من السنين فنشأُوا احزابًا دينية متخالفة متضاغنة ولا يزول هذا التخالف والتضاغن الاَّ اذا اتجهت افكارهم الى امر هامّ لهم فيهِ مصلحة كبيرة تشملهم كلهم فتقوى المصلحة على الاسباب التي تفرّق بينهم الآن وتدفعهم الى انشاء الجمعيات ونحوها مما تجتمع بهِ كلمتهم وتنال معهُ مصلحتهم

(١٠) التدين الظاهر

القاهرة . ا . ا . لماذا نرى بعض المؤلفين يهتمون بتحشية كتبهم بالآيات الكتابية والعبارات الدينية حتى لا يكادوا يذكرون اسم نبي الاَّ الحقوهُ بقولهم صلى الله عليهِ وسلم او عليهِ الصلاة والسلام ولا اسم كتاب ديني الاَّ الحقوهُ بالفاظ التعظيم والتبجيل ولو كانت كتبهم علمية لا دخل للدين فيها ونرى غيرهم ولاسيما من المتدينين لا يهتم بذلك فلا يذكر شيئًا منهُ في كتابهِ او يكتفي بذكر البسملة والحمدلة في صدر الكتاب جريًا على العادة المألوفة

ج قال بعض الحكماء ان تظاهر الفقير بالغنى ناتج عن خوفهِ من ظهور فقرهِ وكذلك نرى قصير القامة يرفع رأسهُ ويتصدَّر لكي يظهر طويلاً وقبيح المنظر يحسن زينتهُ وبزتهُ لكي يظهر جميلاً . وهذا شأن المطعون في تدينهم او الذين يرون من انفسهم ما يحمل على الريبة فيهم فانهم يستعملون هذا الطلاء اخفاء لامرهم . الاَّ ان هذا الحكم لا يؤْخذ على اطلاقهِ بل قد يكون ذكر العبارات الدينيَّة عن تدين حقيقي . واقبح ما في الناس الرياءُ الديني فهو اشفُّ ثوب يلبسهُ الانسان واكبر بلية على التدين الحقيقي

باب الاخبار العلمية

مباحث جديدة في السل

لما اجتمع مجمع العلماء والاطباء الالماني في مدينة كاسل في اواخر شهر سبتمبر الماضي خطب فيهِ الاستاذ بهرنج خطبة كان لها وقع عظيم في نفوس السامعين فان لهُ املاكًا واسعة قرب موبرج حيث يجرب التجارب في الحيوانات ليعلم فعل السل بها وكيفية انتقال العدوى منها الى البشر الى غير ذلك من الامور التي يبحث العلماء فيها الآن وقد قال في خطبتهِ انهُ ترجح لهُ ان تلقيح البقر باللقاح المضاد للسل يجعل لبنها واقيًا من السل حتى اذا شربهُ الناس وقاهم منهُ . وان الاطفال يُعدَون بالسل من شربهم لبن بقر مصابة بهِ وان ميكروب السل يدخل ابدان الاجنَّة قبل ولادتهم وانهُ اذا غذّي الاطفال بلبن بقر لُقّحت بباشلس السل وقوا من السل لان لبنها يكون حاويًا المادة الواقية من السل (انتيتكسين) وارتأى ان البالغين قلما يصابون بالسل ما لم يكونوا قد تعرَّضوا لهُ في طفوليتهم الآن تعرُّض الاطفال لهُ يزول بتغذيتهم لبن بقر لقحت باللقاح المضاد للسل . فهو مخالف للدكتور كوخ في انتقال العدوى

الكهربائية من الريح

استُخدمت الريح لادارة المطاحن من قديم الزمان ولا تزال مستعملة على قلة بعد استعمال المطاحن البخارية . وقد فكَّر البعض في استخدامها لتوليد الكهربائية بادارة المحرك الكهربائي (الدينامو) فلم يتيسر لهم ذلك قبلاً لان حركة الرياح غير منتظمة الَّا ان الاستاذ لاكور الدنماركي صنع آلة كهربائيَّة تديرها الريح واذا زاد عصفها عن درجة محدودة تحرَّك فيها مخل اوقع السير عن الاطار وبذلك تعتدل الحركة . وقد مضى على هذه الآلة نحو سنة وهي دائرة بالانتظام وكهربائيتها تنير ٤٥٠ مصباحًا كهربائيًّا وهي موضوعة في اسكوف ببلاد الدنمارك . وثمن الآلة ٨٠٠ جنيه ويبلغ ثمن الكهربائية التي تتولد منها في سنة ١٤٠ جنيهًا يخرج منها ٤٠ جنيهًا نفقات فيبقى ١٠٠ جنيه للفائدة والاستهلاك

عدوى الطاعون

ثبت بالبحث في هونج كونج ان الحيوانات البيتية كالفراخ ونحوها تُعدَى بالطاعون من اكلها مواد ملطخة بميكروبهِ وان ميكروب الطاعون يوجد في البق والبراغيث والعناكب

والصراصير ونحوها من الحشرات التي تكون في بيوت المصابين بالطاعون . وان خمسة في المئة من السكان الوطنيين يوجد ميكروب الطاعون في دمهم فلا عجب اذا بقي الوباء هناك

مدرسة الصحافة

وهب المستر بولتزر الاميركي مدرسة كولمبيا الجامعة مليون ريال لانشاء فرع خاص فيها يتعلَّم فيهِ الطلبة كيفية انشاء الجرائد وادارتها ووعد بان يهبها مليون ريال اخرى لهذه الغاية . ومعلوم ان الاميركيين فاقوا غيرهم في انشاء صحف الاخبار ومجلات العلم من غير ان يتعلموا صناعة الصحافة في مدرسة فلا عجب اذا زادوا براعةً بعد الآن وناظروا الصحافيين الاوربيين في المدائن الاوربيَّة

المركبات الكهربائية في المانيا

نجحت برلين في تجاربها لتسيير المركبات بالكهربائية نجاحاً باهرًا حتى بدأت بذلك رسميًّا في الخامس عشر من شهر يوليو الماضي وبلغت سرعة هذه المركبات ٦٠ كيلومترًا في الساعة . ويتالف كل قطار من ثلث مركبات اثنتين منها للدرجة الثالثة (وفي كلٍّ منهما محرّك كهربائي) بينهما مركبة للدرجة الثانية وطول كل مركبة من المركبات الثلاث ٦٣ قدماً وعرضها ٩ اقدام . وتسع المركبات كلها مئتي راكب . ويستطيع القطار ان يسير الى الامام او الى الوراء حسب الاقتضاء

قوانين صحية للحلاقين (المزينين)

وضعت ادارة الصحة في ولاية نيويورك القوانين الآتية لدكاكين الحلاقين وهي

(١) على الحلاّق ان يغسل يديهِ بالصابون والماء الحار قبل شروعهِ في حلق شعر احدٍ او قصهِ

(٢) لا يجوز لهُ ان يستعمل الشب او كاوياً آخر لقطع الدم في شكل قلم واذا استعملهُ فليكن مسحوقاً

(٣) لايجوز لهُ استعمال المذريات التي تذرُّ بها المساحيق

(٤) لا يجوز لهُ ان يستعمل منشفة واحدة لاكثر من شخص واحد قبل غسلها

(٥) لا يجوز استعمال الاسفنج

(٦) يجب ان يغسل البرش والطاس اللذين يستعملان لرغي الصابون كل مرة قبلما يستعملهما

(٧) جميع الامشاط والمواسي والمقصات يجب ان تغمس في الماء الغالي او غيرهِ مما يقتل جراثيم الامراض وذلك كل مرة بعد استعمالها

(٨) لا يجوز لهُ ان يصف وصفة مَّا لامراض الجلد ما لم يكن معهُ رخصة رسمية

(٩) يجب ان تُكنس ارض الدكان وتنظف كل يوم ويجب ان ينظف كل اثاثهِ من الغبار

(۱۰) يجب ان يكون الدكان مجهزًا بالماء الحار والبارد

(۱۱) تعلق نسخة من هذه القوانين في كل دكان حيث تسهل قراءتها

القطرات الكهربائية

توالت التجارب في القطرات الكهربائية التي تسير بين زوسن ومارينفيلد بالمانيا حتى بلغت سرعة القطار ۱۲۷ ميلاً في الساعة

بالون ده لا ڤولكس

اقلع المسيو ده لا ڤولكس ببالونهِ من سان كلود في ضواحي باريس قاصدًا مدينة هل بانكلترا فبلغ بعد ثماني ساعات خليج المانش وقطعهُ في ساعة وخمسين دقيقة . وبعد ساعتين وعشر دقائق بلغ نهر التيمز ولما اقترب من جرفه تغيرت الرياح فاقتضى وصولهُ الى همبر ساعة وخمسين دقيقة . ولما بلغ هلْ رأى انهُ لا يمكنهُ متابعة السير من غير ان يتعرَّض للخطر فنزل في مكان يبعد عنها ستة اميال الى جهة الشمال الشرقي وهذه اول مرة قطع فيها بالون من فرنسا الى انكلترا

مشكلة الطيران

من اعسر الامور التي اشكلت على مخترعي المركبات الهوائية مسألة استمرار الطيور طائرة واجنحتها منشورة موازية للافق وهي لا تتحرك على ان المركبة الهوائية المسطحة الاجنحة لا يمكنها البقاء على تلك الحال طويلاً ما لم تكن مساحة اجنحتها اضعاف مساحة اجنحة الطائر . وقد برهن الاستاذ لنغلي برسوم هندسية الفرق العظيم بين اجنحة الطيور والصفائح التي تطير في الهواء ولاحظ قبلهُ ذلك الفرق جماعة من العلماء فاتفق الجميع على ان السبب في استمرار الطير طائرًا هو تقعر اجنحتهِ وتحدبها او كونها غير مسطحة كاجنحة المركبة الهوائية

اعمال النساء

ظهر بالاحصاء في الولايات المتحدة الاميركية ان النساء اللواتي سنهنَّ يمكنهنَّ من تعاطي الاعمال المختلفة نصفهنَّ يعملن اعمالاً يكتسبن منها معيشتهنَّ . وهنَّ يتعاطين كل اعمال الرجال فيوجد منهنَّ في دوائر الحكومة المختلفة وادارة البريد والتجارة والزراعة والصنائع المختلفة ما عدا التعدين . ومن مليون و۷۹ الف عامل الذكور ۷۸٦ الفاً والنساء ۲۹۳ الفاً اي ان النساء اكثر من ربع العمَّال

استعمال الاليومنوم لنقل الكهربائية

كتب بعضهم مقالة اظهر فيها فائدة الاليومنوم في نقل الكهربائية وشيوع استعمالهِ عوضاً عن النحاس . فان السلك الذي ينقل الكهربائية من شلال نياغرا الى مدينة بفلو من الاليومنوم وطولهُ عشرون ميلاً وفي كاليفورنيا سلكان كهربائيان من الاليومنوم طول

احدهما مئة ميل وطول الثاني مئة وار بعون ميلاً . ومعلوم ان النحاس افضل من الاليومنوم لنقل الكهربائية ولكن الاليومنوم اخف وزناً وارخص ثمناً. ويقول الكاتب انهُ يمكن ابعاد الاعمدة بعضها عن بعض حينئذٍ اكثر مما يمكن لو استعمل النحاس فينتج من ذلك اقتصاد في النفقات

تأثير المغناطيس في الحياة

ظهر من تجارب كثيرة اجراها العالمان شنيڤو وبون الفرنسويان ان للمغناطيس تأثيراً عظيماً في بعض الاحياء الدنيا فان البعض منها تتوقف حركتهُ بالتدريج والبعض يتوقف عن النمو والبعض يموت . وقد فتح ذلك باباً للبحث عما اذا كان للمغناطيس تأثير في الحيوانات العليا . ويرجح ان تكون النتيجة ايجابيَّة

شلالات نياغرا الاصطناعية

سيقام في معرض سنت لويس المقبل شلال اصطناعي كبير يمثل شلالات نياغرا . وينصبُّ منهُ ٩٠٠٠٠ جالون من الماء كل دقيقة من ارتفاع ١٥٩ قدماً ويجلب الماء من ينبوع كبير ويرفع الى الشلال بواسطة طلمبات ومضخات كهربائية قوتها ستة آلاف حصان فهي اعظم طلمبات في الدنيا

النور والازهار

كتب الدكتور جمسن ويرالى جريدة السينتفك اميركان يقول قطفتُ بعض ازهار الشقيق الاسلندي ووضعتها في كاس للزينة وكان الوقت صباحاً فلم تمضِ ساعة حتى رأيتها ذبلت فنزعتها من الكاس لارميها فقالت لي امي اتركها في الكاس ولا ترمها ففي الليل تنتعش وتراها غداً كما كانت لما قطفتها . ففعلت كما قالت فانتعشت في المساء وللحال اخذتُ ابحث عن سبب ذبولها وانتعاشها وعن تأثير النور في الازهار بنوع عام . فوجدت ان ازهار الشقيق (الخشخاش البري) على انواعهِ تذبل سريعاً بعد قطفها اذا قطفت في النهار لافرق في ذلك بين ان يكون اليوم بارداً او حارًّا واما الازهار التي تقطف ليلاً فلا تذبل الاَّ اذا عرضت لنور النهار . ويظهر من ذلك ان للنور يداً في ذبولها او موتها الظاهر واذا كان الامر كذلك فالفعل كيماوي وهو مسبب عن بعض اشعة النور

وقد اكتشفت قبل الآن ان الاشعة البرتقالية والحمراء والصفراء لا تضرُّ النبات ونشرتُ نتائج تجاربي فلم ارَ داعياً لاعادتها وترجح لي ان هذا الفعل الضار ناتج من الاشعة البنفسجيَّة وما وراءها فوجدتُ الامر كذلك لانهُ اذا حُجب النور البنفسجي عن ازهار الشقيق بورق احمر او برتقالي لم تعد تذبل واما اذا وضع الزهر في نور الشمس كلهِ فانهُ يذبل حالاً واذا طال وضعهُ في النور اكثر من اربع عشرة ساعة ذبل ولم يعد ينتعش او ييبس . الاَّ ان الزهر الذي يذبل من وضعهِ

في النور البنفسجي ثم ينتعش بوضعهِ في الظلام لا يعود يذبل ولو وضع في نور الشمس كانهُ يكتسب منهُ مناعة كما تكتسب الاجسام مناعة اذا اصابها مرض معدٍ وشفيت منهُ او كما يكتسب جلد الانسان هذه المناعة عينها من فعل النور بهِ فان الذي يتعرَّض للنور البنفسجي وما وراءهُ اول مرة يتلوَّح جلدهُ وتتولَّد فيهِ بثور ولكنهُ اذا تعرَّض لهُ مرةً ثانية لم يعد يؤَثر فيهِ كذلك

وظهر لي بالبحث الميكرسكوبي ان النور البنفسجي يؤَثر في حويصلات الزهرة وزندها وورقها وتأثيرهُ سريع فحالما يقع على الحويصلات يجعلها تنكمش ويؤَثر في دورة العصارة الى ان يوقفها بعد ساعتين او ثلاث ويوقف حركة الحويصلات حتى تعدَم الحركة من بنية الزهر ويموت

الغذاء في الجوز والاثمار

ثبت من تجارب ديوان الزراعة باميركا ان الاثمار والجوز على انواعهِ اطعمة مغذية للجسم. فقد اطعم البعض منها فقط ولم يطعموا من غيرها الَّا قليلاً من الجبن والبيض فاغتذت اجسامهم جيدًا وزاد وزن بعضها وكانت الاثمار التي جرت التجارب فيها من التفاح والموز والعنب والكمثرى والرمان والبرتقال والشليك والبطيخ والتين وما اشبه . والجوز من اللوز والفول السوداني او من زبدتهِ فقط

ويبلغ ثمن طعام الشخص الواحد نحو نصف ما يبلغهُ لو كان كثير اللحم . ومما ثبت بهذه التجارب ان الفول السوداني على رخصهِ يغذي كاللحم فان ما يساوي منهُ خمسة غروش يغذي الجسم مثل مقدار من اللحم يساوي عشرين غرشًا . ولا يفوق الفول السوداني في ذلك الَّا الخبز والفول هذا من جهة الغذاء الذي يكوّن اللحم اما الغذاء الذي يكوّن الحرارة او القوة فهو في الفول السوداني اكثر مما في الخبز والفول اذا كان الثمن واحدًا

تنشيط الزراعة في اميركا

تنفق الولايات المتحدة الاميركية ١٣٢٨٨٤٧ ريالاً كل سنة على مراكز الامتحان الزراعي ولكن البلاد تستفيد منها اضعاف اضعاف ما تنفقهُ الحكومة عليها فان الاميركيين يستعملون كل سنة من السماد فقط ما ثمنهُ خمسون مليون ريال ومراكز الامتحان الزراعي ترشدهم الى كيفية استعمالهِ وتمتحنهُ لهم حتى لا يشتروا شيئًا باكثر من ثمنهِ . ويقال انهُ يتلف عندهم من سماد المواشي كل سنة ما ثمنهُ سبعة ملايين ريال لجهل بعضهم كيفية استعمالهِ ومراكز الامتحان باذلة الجهد في تعليمهم ذلك وتلافي هذه الخسارة فلا عجب اذا فاقوا غيرهم زراعة كما فاقوا صناعة

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد الثامن والعشرين

٨٩٧ رباعيات ابي العلاء

٩٠٢ غرائب الشعوذة (مصوَّرة)

٩٠٥ العربيَّة والمدرسة الكليَّة . للاستاذ جبر افندي ضومط

٩١٣ السوري . لبولس افندي الخولي

٩١٩ الامير فخر الدين المعني . لجرجي افندي يني

٩٢٧ منزلة الشعر من التاريخ . لامين افندي ظاهر خير الله

٩٣١ الملاريا في حلوان . للدكتور يوسف ابكاريوس

٩٣٤ المادة واحدث المذاهب فيها

٩٣٩ اتقاء البعوض (مصوَّرة)

٩٤٩ العلاج بالراديوم (مصوَّرة)

٩٥٢ بيروت وحوادثها

٩٥٥ باب تدبير المنزل * تمريض المرضى . الراحة . غرف النوم . آداب التحية عند الافرنج . آداب المحادثة

٩٦١ باب الزراعة * القطن

٩٦٧ باب التقريظ والانتقاد * كتاب نهج البلاغة . المقامات العشر . كتاب تربية الاطفال . المعاني . الكاروز المنير . رسالة في الطاعون البقري . رواية آدم وحواء . مناهج الحياة

٩٧٣ باب المراسلة والمناظرة * اظهار حقيقة . الرجال ذوو الرؤُوس الطيارة . اقتراح

٩٧٦ باب المسائل * مدة الحمل . كتب فلسفة عربية . كتب باكون وديكارت . العلم ووجود الشيطان . الحويلة وفيشون . الدم والدماغ . الغذاء في السمك . الثعابين في البيوت . اتحاد السوريين . التدين الظاهر

٩٧٩ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٦ نبذة

رواية كليو باطرة ملحقة بالمقتطف

الفصل الثالث والعشرون

كانت الجزيرة التي لجأ اليها ديون وزوجتهُ صخرًا قاحلاً في البحر الى الجهة الشمالية من المرفإِ وقد سميت بجزيرة الافاعي لكثرة ما كان فيها من الافاعي قبل ان استأصلتها منها عائلة بروس . وكانت جرداء لا ماء ولا عشبة خضراء ولذلك كان سكانها يضطرون ان يجلبوا ماءهم وطعامهم من المدينة

ومرَّت الايام وديون وزوجتهُ في الغرفتين اللتين أُنزلا فيهما وكان الحرُّ شديدًا في النهار لان الجزيرة صخر صخر خالية من الاشجار والظل فلم يكونا يخرجان من غرفتيهما نهارًا . وبيت بروس كبير فيهِ غرف كثيرة لاولادهِ ونسائهم وفي الجزيرة هيكل صغير ومنشر للشباك والى شماليها مرفأٌ ترسو فيهِ السفن الكبيرة والصغيرة ولاسيما سفن الصيادين

وظلت الحمَّى على ديون مدة الاسبوع الاول من نزولهِ هذه الجزيرة ثم فعلت بهِ نقاوة الهواء فعلها الشافي وكانت بارين تعتني بتمريضهِ هي وزوجة برُوس وكنتاها وابنتها الصغرى واسمها ديوني . وتمكنت عرى الصداقة بين بارين وهؤُلاء النساء ولاسيما ديوني لانها وُلدت في الجزيرة ولم تكن تعرف البر فكانت تسرُّ بوصف بارين لهُ ولما فيهِ

وشفي جرح ديون ونهض من فراشهِ وخاف اولاً ان تضجر بارين من الاقامة في جزيرة قاحلة لكنهُ رآها على الضد من ذلك راضية بعيشتها معهُ تمام الرضى لا تفكرّ الاَّ في ما يسرُّهُ. وزادتها الايام بهجةً على غير ما كان ينتظر إما لانهُ لم يكن يعلم مقدار حبها لهُ او لانهُ لم يكن يحسب نفسهُ اهلاً لان ينسيها اهلها وذويها وزادت بهجتهُ لما رآها كذلك ولم يكن يأسف الاَّ لانهُ حُرِم من النظر في الشؤُون العمومية في تلك الاوقات الحرجة . وكان يقلق احيانًا حينما يفكرّ في املاكهِ ومقتنياتهِ وما يمكن ان تأُول اليهِ اذا استُصْفيت ولكنهُ لم يكن يخشى الفاقة لان لهُ اموالاً كثيرة عند احد الصيارفة الامناء

وكانت بارين تشاركهُ في كل ما يقلقهُ حتى في اهتمامهِ باملاكهِ واموالهِ وأُرسل اليها قيثارها وبعض الكتب فكانت تغني لهُ وتقرأُ على مسمعهِ لتسليتهِ

ومرَّت الايام وكلٌّ منهما يدرس طباع الآخر ويكتشف فضائلهُ ومزاياهُ فزاد ارتباط قلبيهما الارتباط الذي لا يتم الاَّ بعد ان تمرَّ على الزواج سنون كثيرة تشترك فيها العواطف والمصالح المبنيَّة على الحب المتبادل

وكانت بارين تفكر احيانًا بامها وغيرها من اقاربها وتتوق الى رؤيتهم ولكن تأتيها منهم

مكاتيب من وقت الى آخر فتطفئ غلتهما. يأتي بها برثوس كلما ذهب الى المدينة لبيع السمك لان انوكس كانت تعرف مقرّهُ فتأتيهِ بها سرًّا

ورأى ديون ان زوجتهُ رضيت بهذا المنفى تمام الرضى وان حبهُ لها انساها كل ما تركتهُ في المدينة فرضي هو ايضاً بهِ لاسيما وان المكاتيب التي كانت تأتيهما من المدينة من ام بارين واختها وشارميان ودديموس وجورجياس وارخبيوس كانت متفقة كلها على انهُ ليس من الحكمة خروجهما من الجزيرة ورجوعهما الى المدينة . وكان في هذه المكاتيب اخبار كثيرة تدعو الى النظر والتفكُّر فيشتركان في البحث فيها

وفي الشهر الثاني من خروجهما الى الجزيرة اتاهما كتاب من ارخبيوس يقول لهما فيهِ انهُ ظهرت خيانة عدوهما الكساس لانهُ مضى الى هيرودس وصادقهُ ثم ذهب الى اوكتاڤيانوس لكي يطلعهُ على اسرار مولاهُ انطونيوس فازدراهُ اكتاڤيانوس وامر بالقبض عليهِ ومحاكمتهِ فحوكم وثبتت خيانتهُ فقتل. ولما وصل هذا الخبر الى الاسكندرية لم يعد لاخيهِ فيلستراتس اقل شأن فيها ولذلك لا خوف من رجوعهما الى الاسكندرية من قبَل هذين الرجلين ولكن قيصاريون اشترك في جمعية الفتيان وأُلبس انتلس ثوب الرجال فصار لهما شأن كبير ويظهر ان قيصاريون لا يزال يفتش عن بارين فليس من الحكمة ظهورهما الآن

ولم يكن ديون يخاف من قيصاريون على نفسهِ ولكنهُ كان يخاف منهُ على زوجتهِ فاضطرَّ ان يبقى في الجزيرة مكرهاً لاسيما وانهُ كان ينتظر بفارغ الصبر اليوم الذي يتمكن فيهِ من العودة بها الى قصرهِ وتسليمها ادارتهُ والى المجلس البلدي والاشتراك في اعمالهِ ولذلك خطر لهُ مراراً ان يخاطر بنفسهِ وينزل الى البر لكن بارين كانت تتوسل اليهِ ان لا يفعل وتقول ليس من الحكمة ان نبدل السعادة التي نحن فيها بسعادة اخرى اعظم منها اذا كانت هذه محفوفة بالمخاطر . ثم جاءهما كتاب من شارميان تحذرهما فيهِ من الرجوع الى المدينة

وكانا يريان وهما في الجزيرة ان الاسكندرية غائصة في بحار الملاهي لان الرياح كانت تهب من الجنوب احياناً فتحمل اليهما اصوات الغناء والطرب ويريان البوارج رافعة اعلام النصر وسواريها مزدانة بأكاليل الازهار وبحارتها يغنون ويطربون وكثيراً ما يكون شراع السفن من الحرير الارجواني دليل التفاني في الزينة والابهة. ورأيا مرة سفينة كبيرة فيها كثيرات من الجواري الحسان مسدولات الشعور لابسات اثواباً زرقاء شفافة وبأيديهنَّ مجاذيف من خشب الصندل مقابضها من الذهب الابريز وهنَّ يجذفنَ بها . وكثيراً ما كان ارج الطيوب يصل اليهما من السفن على اجنحة النسيم . واذا خيم الليل انيرت البوارج الكبيرة بالانوار

المختلفة الالوان ومخرت في عرض البحر قصد النزهة وعليها جماهير من رجال الدولة وقواد الجند متكئين في اوضاع مختلفة تمثل الآلهة على ما ورد ذكرها في اقاصيصهم وبينها بارجة كليو باطرة وعلى ظهرها جماعة متكئين على ارائك الارجوان وعلى رؤوسهم اكاليل الازهار وهم يأكلون فاخر الطعام ويشربون معتق المدام يديرها عليهم الندمان بكؤوس الذهب

وفي بعض الليالي كانت القصور والهياكل وسائر المباني العمومية تظهر من الجزيرة كشعلة من نار لكثرة ما يوقد على جوانبها وشرفاتها من المصابيح . ولم تكن بيوت الكبراء من السكان دونها في اظهار مجالي الزينة كأن المدينة كلها كانت ترفل بحلل البهجة والبهاء . وعاد بروس ذات يوم واخذ يصف ما شاهده من المواكب البديعة والولائم الفاخرة التي اولمت في قصر الملكة وهو مسرور لانهُ باع كل ما اصطاده هو وبنوه من السمك باغلى الاثمان

واقبل الشتاء ومرّ عيد مولد كليوباطرة ولم يحدث شيء غير عادي ثم تلاه مولد انطونيوس فكثر فيهِ الهتاف وعلت اصوات الموسيقى وزينت المدينة كلها في المساء. ووصل الى ديون وبارين حينئذٍ كتاب مسهب من شارميان تصف فيهِ الاحوال بالاسهاب التام بدأتهُ "بتطمين" بارين عن اقاربها واخبرت ديون ان عمهُ المهردار في نعيم مقيم لانهُ مغرَم بمجالي الزينة والولائم الفاخرة وهو باذل جهده لاعداد الحفلات الباهرة في الملاهي والملاعب وميادين السباق . وكان هناك قوم من اهل القصوف يلقبون انفسهم بالاجلاء فلقبهم انطونيوس باخوان الردى وقال لهم هلمّ نأكل ونشرب ونلعب ونطرب لاننا غداً نموت. ورأى كل احد ان النهاية قد دنت فقالوا هلمّ نقتدِ بالملك الذي انبأتهُ الالهة انهُ بقي من عمرهِ ست سنوات فواصل الليل بالنهار سكرًا ومرحاً فصارت السنوات اثنتي عشرة. وقالت شارميان في كتابها" كان التقاء كليوباطرة بانطونيوس على تمام الابهة وكنا نظن انهُ نهض من غفلتهِ ونشط للعمل فعادت بسالتهُ بتجدُّد نار الحب في فؤادهِ ولكنهُ لم يفعل شيئاً من ذلك بل عكف على الملاهي والملاذ وهو يقود اخوان الردى ويملأ جوفهُ بالمسكرات ولا يلتفت لحظة الى المخاطر المحيقة بنا ويعود الى القصر احياناً وعيناه تتلألآن من المسكر فيركع امام كليو باطرة كأنهُ يركع امام معبودهِ ويبذل لها كل مرتخص وغالٍ لكي تتبسم في وجههِ . وحينما اراه على هذه الصورة اتصوره كجبل راكع امام كوكب . واذا رأى غريب كليوباطرة مع انطونيوس وبين خواص مملكتها والازهار تطرح تحت قدميها ظنها في اوج مجدها ومنتهى بهجتها لكنها ليست كذلك وانا ادرى الناس بها . واكبر همها الآن اتمام القبر الذي شرعت فيهِ

" والظاهر انها تهتمّ بكل شيء حتى بالنقوش التي تحفر على ناووسها وسيكون في المدفن

غُرَف تحتانية لتضع جواهرها وكنوزها فيها وتحت هذه الغرف سرداب وضعت فيهِ القار والقش حتى اذا اشتدَّت الازمة اضرمت فيها النار لكي لا تقع في يد العدو فان عندها من الجواهر ما يشتري ممالك كثيرة

"والبستان الذي ربيتِ فيهِ ياباربن وقضيتِ ايام الصبا يمرح فيهِ الآن اولاد كليوباطرة الصغار وهم في كفالة اخي ارخبيوس وتذهب كليوباطرة اليهِ كلما ارادت الراحة من عناء الاشغال او من متاعب الاحتفالات. واول امس جاءها انطونيوس في شكل المعبود ديونيوس مكللاً باللبلاب وسار في شارع الملك في مركبة ذهبية تجرها الاسود المذلَّلة وطلب منها ان تذهب معهُ في شكل المعبودة ايسس راكبة مركبة من الفضة في شكل زهرة نيلوفر تجرها اربع افراس بيضاء كالثلج فقالت لي "ان بين بستان الفيلسوف حيث ابتدأتُ في الراحة والسكينة وبين القبر الذي ابنيهِ لاقيم فيهِ بعيدةً عن هذه المشاغل هذا الشارع الطويل بما فيهِ من الجلبة التي تصمُّ الآذان والفخفخة الزائلة زوال امس الدابر"

"لم تكن امورها هكذا في ما مضى فقد كانت مغرمة بانطونيوس غراماً وكان اعظم رجال زمانهِ ومع ذلك جثا لها خاضعاً لمشيئتها . فوجدت نفسها فيهِ ما كانت تتمناهُ وقضت معهُ اوقاتاً كلها مسرة وحبور . كان من اكرم الناس فالقى تحت قدميها عظمة رومية وملوك ممالك الارض ومرَّت السنون وهما سكرانان بخمرة الحب. ثم اضطرَّ ان يقترن باكتافيا . لم يترك كليوباطرة لاجل امرأة اخرى بل لان ملكهُ كان مهدَّداً بالزوال . الَّا ان اكتافيا كانت تستحق محبتهُ واكرامهُ فصارت عزيزة في عينيهِ

"واتقدت نار الحرب بين اكتافيا وكليوباطرة لا بالسيف والرمح بل بآلات الحب والغيرة واخيراً كان الفوز لكليوباطرة فعادت الى بستان الحب وعاد انطونيوس الى خمرتهِ . ثم جاءت واقعة اكتيوم وانفك طلسم السحر الذي سحرتهُ بهِ فاستيقظ ليسقط هذه السقطة الهائلة . ولقد كان غرضنا اخيراً ان لا يعود الى سورة سكرهِ بل يستنهض قواهُ ويسترد بسالتهُ ولكنهُ اعتاد ان يرى في كليوباطرة عنوان البهجة ولم يعد يعبأ الَّا بارتشاف كؤوس السرور بين يديها الى ان يقضي نحبهُ . وهي ترى ذلك وتحزن وتأسف وقد افرغت جهدها في انهاض همتهِ على غير جدوى . فتريتها تحصن الثغور والتخوم وتبني البوارج الحربيَّة وتعد الاسلحة والميرة وتراسل الاحلاف ولكنهُ يدعوها الى حفلة انس وطرب فلا تستطيع الَّا ان تجيب طلبهُ

"وقد اضاع كل المزايا القديمة التي كان متصفاً بها ولكنَّ حبها لهُ لم يزل ولا اعلم سبباً لذلك الَّا ان قلب المرأة لا يبحث عن الاسباب والمسببات

"ومن حين سُلّمَ الاولاد لارخبيوس لتعليمهم أُرسل معلمهم يوفرنيون الى رومية لانهُ يعرف اكتافيانوس . أُرسل اليهِ سفيرًا لكي يقنعهُ بتحويل ملك مصر الى الولدين انطونيوس هليوس والاسكندر لكن اكتافيانوس لم يجب طلبهُ بل لم يسمح لهُ بمقابلتهِ

" وقد وعد اكتافيانوس كليوباطرة باحسن معاملة لها ولاولادها ان هي سلمتهُ انطونيوس حيًا او ميتاً. ومعلوم ان نفسها الابية تأبى اجابة هذا الطلب لان فيهِ خيانة ما فوقها خيانة . ولايزال اكتافيانوس يمنّيها بالمواعيد ويبين لها مقدار ما تحجب من الدماء بتسليمها رجلاً واحدًا الى يدهِ . وهو يعرف كيف يختار اساليب الاقناع. وبالامس ارسل اليها شابًا من اعوانهِ جميل المنظر فصيح اللسان فبذل اقصى جهدهِ في اقناعها وقال لها ان اكتافيانوس كان يحبها ولا يزال حبها راسخًا في قلبهِ. فلم تظهر الريب في كلامهِ ولكنها لم تبدِ لهُ اقل ضعف في عزيمتها او تحوُّل في رأيها

" لم يلتفت انطونيوس اولاً الى هذه الدسائس ولكن لما علم بالوسائل التي استعملها اكتافيانوس لاستمالة كليوباطرة هاجت فيهِ سورة الغيظ وعاد الى سابق عهدهِ وامر ان يجلد سفيرهُ جلدًا وردهُ الى رومية وكتب الى اكتافيانوس يشكو من وقاحة سفيرهِ ويقول لهُ " ان ما حلَّ بي اخيرًا قلَّل من صبري لكن ان كنت تستاء مما فعلتهُ بسفيرك فافعل نظيرهُ بسفيري "

ونرى من ذلك ان طبع المجون لم يفارقهُ مع كل ما حلَّ بهِ ولا شبهة ان اطوارهُ تغيرت الآن تمام التغير فمنذ بضع سنوات كانت المخاطر تزيدهُ همة وبسالة حتى يتغلب عليها اما الآن فالمخاطر محدقة بهِ وهو لا يبالي بها وان خرج الى الحرب فلا يكون خروجهُ لاجل التظفر بل لكي يقع قتيلاً في ساحة الوغى حتى لا يقال انهُ مات حتف انفهِ وعندهُ ان تمتعهُ بالملذات يخفف عنهُ ألم الانغلاب ويقلل شان الغالب لكنهُ لم يعد يشمخ بانفهِ كبرًا كما كان يفعل قبلاً ولاسيما بعد ان سلَّم احد المتهمين بقتل قيصر

" ثم ان هناك امرًا هامًا يجب ان تخبري زوجك بهِ وهو ان انطونيوس صار يستصحب ابنهُ انتلوس ويشركهُ في ملاهيهِ وقد بلغهُ ما اصاب قيصاريون واظنهُ يميل الى مساعدتهِ وقال مرارًا ان لا شيء يوقظ الحمية في نفس قيصاريون مثل جمال وجهكِ وان الارض لم تبتلعكِ فلا بدَّ من وجودكِ وانهُ يود ان يسمع غناءكِ ايضاً ولا بدَّ من انهم يفتشون عنكِ

" هذه الاخبار تقلق بالك ولكن يسرُّني ان اخبرك ان كليوباطرة عزمت على ارسال قيصاريون الى بلاد الحبشة بطريق اصوان فقد سمع ارخبيوس من تماجنس ان اكتافيانوس يخشى من ابن قيصر لانهُ يرى وجههُ مماثلاً لوجه ابيهِ ولذلك خافت ان يفتك بهِ اذا وقع

في يدهِ . وانتلوس ذاهب ايضاً الى اسيا لكي يسترضي اكتافيانوس لانهُ كان خطيباً لابنتهِ جوليا. وقد يئست الملكة من الفوز ولكن رغماً عن ذلك وعن الحاح اخوان الردى لا تزال تبذل الجهد في تحصين الثغور

" وقد صار الموت نصب عينيها فترينها تبحث عن اسلوب تموت بهِ من غير الم لانها تعلَّمت من ابيقورس الاهتمام بالنجاة من الآلام . وتساعدها ايراس في ذلك وتلامذة اولمبس فيأتونها بالسموم المختلفة وهي تجرّبها في العجماوات وقد جرّبتها حديثاً في بعض المجرمين المحكوم عليهم بالموت · فاستدلَّت منها ان سم الصل اقتل من غيرهِ كأن المصريين القدماء وضعوا رسمهُ في تيجان ملوكهم اشارة الى سلطتهِ المطلقة على الحياة والموت . واذا سرى سمهُ في البدن اوقف القلب حالاً عن حركتهِ وزهقت بهِ الانفاس باقل ما يكون من الالم على ما يظهر

" اواه لا اقدر ان اصف لكِ ما القاهُ من المرارة والنغص وانا ارى اعز الناس عندي تفتش عن اسلوب تقتل بهِ نفسها ولا استطيع منعها . وهي تقابل الموت كل يوم وتنظر شزرًا الى ما يُعرَض عليها للنجاة منهُ . وحسبها فخرًا انها تضحي نفسها لكي لا تضحي غيرها ولم احبها في حياتي قدر ما احبها الآن

" واود ان تحسني الظن بها فان القلب الكريم الذي يشفق على العدو لا يصعب عليهِ ان يتجاوز عن ذنبهِ

" لقد اطلتُ كتابي لكي اسليكِ في وحدتكِ وافرّج همومي بالشكوى فاصبري فان الاقدار ستنجيكِ من منفاكِ قريباً . كل اقاربكِ واصدقائكِ يودون زيارتكِ ولكنهم يخافون عواقبها عليكِ وعلى زوجك"

وكتب ارخبيوس اليهما يحذرهما من الرجوع الى المدينة. ثم بلغهما ان قيصاريون سافر الى بلاد الحبشة وانتلُوس الى اكتافيانوس فرحَّب اكتافيانوس بهِ ولكنهُ ردّهُ فارغاً · وهذه الاخبار اتى بها جورجياس نفسهُ في اوائل الربيع · فلما دخل الغرفة التي كانا فيها رأى بارين جالسة تحيك شبكة وتقص على ابنة بروس قصة تلماك وديون جالساً معها يشرح بعض ما تقولهُ وهو يصنع رأساً من الخشب ليوضع في مقدَّم قارب من قوارب الصيد

ولما نظرا اليهِ دهشا وابرقت اسرتهما ونهضا اليهِ يصافحانهِ ويرحبان بهِ ويسألان عن سلامتهِ فتعشَّى معهما عشاء لم يذق الذ منهُ من الاسماك ولحوم الاصداف البحريَّة . وشعرا كانهما عادا الى المدينة واسترجعا كل ما فقداهُ وجعلا يقصَّان عليهِ كيفيَّة معيشتهما في تلك الجزيرة وهو يقص عليهما اخبار الملكة وقبرها والغرف التي بناها فيهِ لكنوزها وقال اني جعلت الجدران

ثيقة حتى تقاوي الدهر وفي وسط القبر غرفة رحبة جدًّا قائمة على اعمدة من المرمر ليوضع
ناووس فيها وهو كثير النقوش والزخارف وفي الغرف السفلى مخازن تصل اليها خروق صاعدة
ي الجدران لتجديد الهواء وتسهيل الاشتعال . اما الغرفة الوسطى فمن بدائع الصناعة ولم ابنِ
ي حياتي غرفةً مثلها في جمال نقشها وانواع المرمر الداخلة في بنائها من البرفير الدموي والسربنتين
زمردي ونحو ذلك من الحجارة الثمينة وغلقا الباب من النحاس يشهدان بمهارة صناعهما

وسألتهُ بارين عن امها واختها وجدها فقال لها انهم كلهم في سلامة لكن جدها استطال
دة نزولهِ ضيفاً عليهِ وود الخروج من بيتهِ حتى اضطر ان يبذل كل جهدهِ في اقناعهِ بالبقاء
وان كليو باطرة اشترت بيت جدها وبستانهُ ودفعت اليهِ ثمنهما ثلاثة اضعاف فصار من
لاغنياء وطلب منهُ ان يبني لهُ بيتاً جديداً في مكان يشرف على البحر قريباً من المتحف فوجد
ُ مكاناً مناسباً ولكن البيت لا يتم بناؤُهُ قبل الصيف الى ان قال وكان يمكن ان اتمهُ قبل
لك ولكن هيلانة ارتأت ان اغيّر وابدل فيهِ ورأيتها مصيبة في ذلك فتبعتُ رأيها . ولما قال
لك نظر ديون الى بارين ونظرت هي اليهِ فقال لها لقد فهمت مرادكما ولغة العينين افصح من
ة اللسان لقد مرّت عليَّ هذه الشهور الخمسة وانا ارى محاسن هيلانة واعجب بجمال وجهها
ذكاء عقلها وطهارة قلبها واظن انها هي ترى فيَّ بعض ما يروق لها ولكني حينما ارى الملكة
اسمع صوتها اشعر كأن عاصفة اكتنفتني وانستني اسم هيلانة ومحت صورتها من ذهني . هذه
حقيقة الامر ولا استطيع ان اغش احداً فكيف اربط ابنةً بي وانا تحت سلطة غيرها

فذكّرهُ ديون بقولهِ ان الملكة تحبُّ كالالهة ولم ينتظر الجواب منهُ بل حوّل الكلام
لى موضوع آخر

وعاد جورجياس الى البر بعد نصف الليل بثلاث ساعات اعادهُ بروس في اسرع قواربهِ
رجع وهو يفكر في بارين وهيلانة ويقول في نفسهِ ترى هل تعيش هيلانة معي عيشة الهناء
كما تعيش بارين مع ديون والاختنان كانتا على طرفي نقيض في صبوتهما

وفي الصباح جاء المكّاس الى الجزيرة في طلب الجزية فلقي بروس واهلهُ اشد المشاق
ي اخفاء ديون وزوجتهِ حتى لا يراهما واعطوهُ نصف ما وفّروهُ تلك السنة واخذ منهم اكبر
ارب من قواربهم لان الاستعداد للحرب اضطرَّ الملكة ان تضرب الضرائب الفاحشة على
لاهالي وتأخذ منهم كل السفن التي يمكن استعمالها في الحرب واستصفت اموال الهيا كل ولم
يجسر احد ان يجاهر بالشكوى منها مع ان جانباً كبيراً من تلك الاموال كان ينفق على الولائم
والملاذ لانهم كانوا يحبونها حبًّا يقرب من العبادة ويكرهون رومية وحكامها ولا يضنون بشيءٍ

لكي يبقى لهم الاستقلال الذي تسعى رومية الى نزعهِ منهم

وكان ديون وبارين يريان من الجزيرة مقدار الجهد الذي تبذلهُ كليوباطرة في اعداد معدات الحرب فان السفن كانت تبنى دواماً في حوضي المدينة والبحّارة يتمرنون في البوارج وانطونيوس ينزل الى البحر احياناً يراقب حركاتهم وأُخذ ابنا بروس ونظما في سلك البحّارة واعطى ديون اباهما مبلغاً طائلاً من المال ليستفكهما بهِ فلم يفلح

وقد شق اخذ هذين الشابين على والديهما وزوجتيهما فسكبوا الدموع السخيّة وبعدايام اخذا اجازة يوم ليريا اهلهما وقصّا عليهم ما يلاقيانهِ من المشاق هما وغيرهما من الشبان الذين يؤخذون من احضان آبائهم جبراً ويمرّنون بعنف شديد وكلهم غاضب ساخط حتى لا يبعد ان يجاهروا بالعصيان حالما تلوح لهم فرصة لذلك لاسيما وان بينهم اناساً يهمسون في آذانهم ويقولون ان خدمة اكتافيانوس اسهل جدًّا من خدمة انطونيوس

وجعل بروس يحذر ولديهِ من الفتنة وزوجتهُ وكنتاه يغرينهما بها وبكل ما ينجيهما من الذلة ويعيدهما اليهنّ. وتولّت الكآبة ذلك البيت وزالت بهجة بارين فاطرقت وصارت تبكي احياناً كثيرة . اما ديون فبقي على ما كان عليهِ من البهجة وطلاقة الوجه . وبلغهُ ان املاكهُ صودرت ولكن ارخيبوس تمكن من انقاذها فلم يهمهُ ذلك كثيراً لانهُ كان ينتظر اعظم اسباب البهجة التي ينتظرها الزوج ولم يمضِ شهران حتى رزق غلاماً فطفحت كاس مسراتهِ وشاركت نساء الجزيرة زوجتهُ في سرورها . واحضر بروس مذبحاً صغيراً من المدينة وتمثالاً من تماثيل الهة الولادة ارسلتهما شارميان هدية الى بارين فنصب المذبح ووضع التمثال عليهِ وجعلت بارين تدهنهُ بالزيت الطيب ونذر ديون لالهة الولادة ان يبني لها هيكلاً ان انعمت على زوجتهِ واعتنت بها

وفي اوائل فصل الصيف جاءت هيلانة تزور بارين فالتقتها بارين بوجه يطفح سروراً وكانت امها تود زيارتها ايضاً ولكنها خافت الرقباء والجواسيس لاسيما وان فيلستراتس كان وعد ان يعطي من يأتيهِ بديون وزنتين من الذهب ولذلك لم ينفك الجواسيس عن مراقبة قصر ديون وبيت برنيكي ومن يخرج منهما ومن يدخل اليهما

واستوحشت هيلانة من وحدة الجزيرة اكثر مما استوحشت بارين وكانت تخرج كل مساء الى الجهة الجنوبيّة ترقب المدينة منها وزادت وحشتها بمرور الايام وزاد شوقها لجدها وجدتها الّا ان ديون ظن شوقها لشخص آخر غيرهما لمخالفتهُ زوجتهُ في ذلك واخيراً تحقق ظنهُ لان جورجياس جاء لزيارتهم فاسرعت هيلانة للقائهِ ورآها ديون واقفة معهُ تشكو اليهِ البعاد

فاسرع واخبر زوجتهُ فقالت لهُ وهل يليق بك ان تكون رقيباً على حبيبين فقال وما عليَّ اذا عاملتهُ كما عاملنا حينما التقينا اول مرةٍ

ثم دخل جورجياس المنزل وهيلانة متكئة على زراعهِ فان بُعدها عنهُ هذه الثمانية الايام اضرم نار الوجد في فؤادهِ فلم يعد يستطيع على فراقها صبرًا وصار يرى صورتها امام عينيهِ حتى وهو في حضرة الملكة فخطبها الى امها وجدها وجدتها واسرع اليها الى جزيرة الافاعي

الفصل الرابع والعشرون

اقام جورجياس ساعات قليلة على الجزيرة وهي كل الزمن الذي استطاع ان يتفرَّغ فيهِ من اعمالهِ لان بناء مدفن كليو باطرة كان يستغرق وقتهُ كلهُ حتى ساعات الليل ولم يعد في الامكان وضع نقوش النحاس داخل الغرفة الكبرى فوضع مكانها صفائح من المرمر الاسود لان اكتافيانوس كان قد وصل الى بلوزيوم في الطرف الشمالي الشرقي من الديار المصريَّة وكان المنتظر ان تصل طلائع جنودهِ لى الاسكندريَّة بعد اسبوع من الزمان ولو استطاع سلوقس والحامية الثبات امامهُ في بلوزيوم

وقد عبُئت الجنود لصدهِ فالاسطول لا يقلُّ عن اسطولهِ عَددًا وعُددًا والفرسان الذين استعرضهم انطونيوس امام الملكة يبهج مرآهم عين مَن لهُ المام بالفنون الحربيَّة . وهو معلق آمالهُ على القواد المحنكين الذين كانوا معهُ في المعارك السالفة وخبروا كرمهُ في الشدة والرخاء ونجدتهُ وقت الضيق

وقلق ديون من الاقامة في الجزيرة وود ان يعود الى البر لكن بروس منعهُ من ذلك فقال اذن نذهب الى مدينة من المدائن السورية او اليونانية فقال لهُ بروس ان الرقباء يفتشون كل سفينة تخرج من المدينة. ولم يكن قلق بروس اقل من قلقهِ لانهُ كان لا بد من ان اسطول اكتافيانوس ينازل اسطول الاسكندرية الذي فيهِ ابناهُ. وعاد ذات يوم من المدينة هلع الفؤاد اذ بلغهُ خبر تسليم بلوزيوم ولمَّا لم يرَ احدًا خرج لاستقبالهِ على خلاف العادة اوجس شرًّا وقال لعلَّ احدًا اكتشف مَن عندنا فقبض على الجميع . ثم صعد على الصخر ودنا من البيت ولما لم يرَ احدًا زادت هواجسهُ ومخاوفهُ واخيرًا دنا من الباب وفتحهُ وكان ديون قد رآهُ مقبلاً وقام للقائهِ ووجههُ يتهلل بشرًا وقال لهُ غلاماً غلاماً ولدت بارين غلاماً وسنسميهِ بروس باسم صاحب هذه الجزيرة المباركة . فهنأهُ بروس وقال لهُ من اكون حتى تسمي ولدك باسمي

وسرَّ كل في من الجزيرة بولادة هذا الطفل واستبشروا بهِ لانهُ كان بديع المنظر. ولمَّا اطمأن بال ديون على زوجتهِ ورآها جازت المخاض والولادة سالمة اتجه فكرهُ الى المشاغل الكثيرة التي اجَّل قضاءها لاسيما وانهُ صار والدًا وعليهِ ان يهتم بمستقبل ولدهِ . وكان قد طال شعرهُ وعتقت ثيابهُ فصار منظرهُ مثل منظر الصيادين فلا تسهل معرفتهُ ولذلك غادر الجزيرة في المساء وجاء الى المدينة وكان ذلك في اليوم الاخير من شهر يوليو . ورجع بروس ذلك اليوم الى الجزيرة باخبار الفوز العظيم الذي فازتهُ فرسان انطونيوس على فرسان اكتافيانوس . وزينت القصور في الليل ورأى ديون الناس على رصيف المرفإ مسرورين متهللين يقول بعضهم لبعض لقد عاد انطونيوس الى سابق عهدهِ ولا بدَّ من الفوز اخيرًا

ووصل الى بيت جورجياس فوجد جدَّ زوجتهِ وجدتها وكانا قد عرفا انهُ ولد لبارين ولد فكررا التهنئة لهُ وارادا ان يرسلا يستدعيان جورجياس وكان قد ذهب الى مجتمع الفتيان مع انهُ خرج من الانتظام فيهِ منذ زمن طويل . الَّا ان ديون فضَّل ان يذهب بنفسهِ ويقابلهُ هناك . وقبل ان ذهب جاءت انوكس فلما رأتهُ تهلَّل وجهها وهنأتهُ بسلامة زوجتهِ وعادت ادراجها لتخبر سيدتها بمجيئهِ ثم جاءت برنيكي وحاولت اظهار البهجة ولكنها لم تستطع ان تخفي قلق بالها لان اخاها كان صديقًا لاكتافيانوس فلما صار اكتافيانوس على ابواب الاسكندرية اضطرَّ هو واولادهُ ان يخرجوا منها ويختفوا في بيت احد اصدقائهم فصارت تخشى ان يستتب النصر لانطونيوس فيوقع بكل الذين يحسبهم اصدقاء لاكتافيانوس مع انها تود النصر لهُ لاجل مصلحة بلادها

وكان انطونيوس قد فعل فعْل الابطال في ذلك اليوم خرج في طليعة فرسانهِ واستلَّ سيفًا كالصاعقة وخاض الوغى وهو يضرب بهِ يمنةً ويسرة فيطيح الرؤوس عن الابدان حتى قال كل مَن رآهُ ان هرقل الجبار عاد الى عالم الاحياء . وجاءت شارميان الى بيت جورجياس لترى ديون وتسأَلهُ عن سلامة بارين وطفلها فاكدت لهُ ما سمعهُ عن انطونيوس . ورأى ديون انها تغيرت كثيرًا منذ رآها آخر مرة فابيضَّ شعرها كلهُ وغارت وجنتاها وبانت عليها امارات الغم الشديد . وكانت قد خرجت من القصر خلسة من وسط وليمة أُولمت على اثر الفوز العظيم الذي احرزهُ انطونيوس

وجلس انطونيوس في صدر تلك الوليمة مكللاً بالازهار وجلست كليوباطرة الى جانبهِ بحلَّة زرقاء مزدانة بازهار النيلوفر المرصعة بالصفير واللؤلوء النضيد

لما رجع انطونيوس من حومة الوغى لاقتهُ كليوباطرة فامسك بها بيديهِ متهللاً كما كان

يفعل في السنين الغابرة حين عودتهِ من المعارك الكبيرة وقابلتهُ ووجهها طافح سرورًا .
وقدَّم اليها فارسًا امتاز على الاقران ببسالتهِ فانعمت عليهِ بدرع وخوذة من الذهب الخالص
وقبل الوليمة بلغها ان هذا الفارس ترك جنودها وذهب الى مصاف العدو فثبت لها ما كانت تتوقعهُ وهو ان الدائرة ستدور عليها بخيانة جنودها وبلغها ان انطونيوس دعا اكتافيانوس الى المبارزة فاجابهُ انك ستجد سبلاً كثيرة للموت غير هذا السبيل . وعلمت ايضًا ان كثيرين من اقدم جنودها تركوها وانضموا الى اكتافيانوس فقالت ما ظفر انطونيوس في هذه الواقعة الاَّ نور السراج الذي يسطع قبلما ينطفئ ولكن ما دام موقدًا يجب ان نسير في نورهِ . فدخلت الوليمة معهُ وتذكَّرت حينئذٍ قولهُ اذ شبهها بوليمة تولم للاحتفال بالظفر قبل الشروع في القتال فيحضرها المدعوون والاكاليل على رؤُوسهم فيشربون ويطربون
ولم يكد السقاة يشرعون في صب الخمر حتى التفت انطونيوس اليهم وقال صبوا واكثروا يا غلمان فقد تخدمون سيدًا آخر غدًا ثم عبس على غير عادتهِ وهمس قائلاً واكون انا جثةً بلا روح . وسمع السقاة هذا الكلام فجعلوا يبكون هم وسائر الغلمان وشاركتهم كليوباطرة في البكاء
كان انطونيوس رجل ملذات متهورًا في كل اعمالهِ لا يقرُّ لهُ قرار ولا تسعد بلاد يحكم عليها ولكن لم يفقهُ احد في امتلاك قلوب رعاياهُ فان نظرة واحدة اليهِ تسبي الناظر حتى ان اعداءهُ كانوا يعترفون ان بسالتهُ تبدو على اشدها في ساعة الخطر والثقة بهِ تقوى في اوقات اليأس . فذلك وتذكار ما امتاز بهِ من كرم الطباع ودماثة الاخلاق جعل الحضور يبكون حينما سمعوهُ ينذر بما يخشون وقوعهُ وزادوا بكاءً وحسرةً حينما رأَوا الدموع السخية تهطل من عيني ملكتهم وهي متكئة على كتفهِ
لكن هذه الكآبة لم يطل امرها لان انطونيوس نادى السقاة قائلاً اليكم عن اللرقا (١) فاننا في غنًى عنها وانت يا كسوثس غنِّنا اغنيَّة تليق بهذا الاحتفال وهات يا مترودر ابدع ما عندك من الرقص والكاس الاولى لاجمل النساء وافضلهنَّ واحكمهنَّ واعزهنَّ ولما قال ذلك اشار بيدهِ والكاس فيها فعزف كسوثس واندفع الراقصات يرقصن ويلحن باثوابهنَّ الرقيقة حتى كأَنهنَّ طيور تكتنفها الغيوم
وحضر الوليمة اخوان الردى وحضرت شارميان ورأَت مولاتها جالسة وشفتاها ترتجفان وحينئذٍ دخلت انوكس واخبرتها عن مجيء ديون فخرجت من دار الوليمة خلسة ودخلت غرفتها لتلبس ثيابًا تستطيع ان تذهب بها وترى ديون ودخلت ايراس حينئذٍ ووضعت رأْسها بين

(١) هي تمثال صغير في شكل هيكل ميت يدار على الندمان لكي يتذكروا الموت فلا يوغلوا في الملذات

وسادتين واوغلت في البكاء من غير ان ترى خالتها فنادتها شارميان اليها وفتحت لها ذراعيها وكانت هي تبكي ايضاً فانطرحت ايراس على صدرها وزادت بكاءً واخيراً تمكنت شارميان من الكلام فقالت بصوت متقطع سنذهب معها الى الموت. فقالت ايراس نعم وندفن معها

وكانت شارميان قد صممت على ذلك من عهد طويل لانها لم تطق ان تفارق المرأة التي تعلَّق قلبها بها وهي طفلة في بستان ابيها فلما سمعت ابنة اختها تكرر صدى كلامها قالت وندفن معها فان يد شارميان وقلبها لا يفارقان ملكتها . وقالت ايراس ولا تفارقها ايضاً محبة ايراس وخدمتها . قالتا ذلك وافترقتا عليهِ

واسرعت شارميان الى ديون وسألتهُ عن بارين والطفل كما تقدَّم ثم خرجت مسرعة فتبعها الى المركبة التي جاءَت فيها واخبرتهُ وهي تركب ان اخاها اخذ اولاد كليوباطرة وخرج بهم الى قصرهِ في ايرينيا . وقالت لم ارَ في حياتي منظراً يفتت الاكباد مثل منظر الملكة وهي تودع اولادها . وغاية ما اتمناهُ ان تقي الآلهة هؤُلاء الاطفال وتقي طفلك ايضاً

ووصلت الى القصر قبل عودة الملكة وكانت تحسب ان الملكة تعود كاسفة البال كما كانت تعود من كل الولائم التي حضرتها في تلك الاثناء لاسيما وان هذه الوليمة ابتدأَت بالبكاء والنوح. وظلَّت منتظرة الى الساعة الثانية بعد نصف الليل وعادت الملكة حينئذٍ ولما وقعت عين شارميان عليها ظنَّت انها في حلم لانها رأَتها متهللة سروراً ولما رفعت التاج عن رأسها قالت لها الملكة "لماذا تركتِ الوليمة باكراً فانها قد تكون آخر ولائمنا ولا اتذكر انني رأيت وليمة ابهج منها فقد كانت مثل ربيع حياتي وابدى انطونيوس فيها من دلائل الشجاعة والمحبة ما يحرك قلب الجماد حتى صرنا نحسب الساعات دقائق وعادت الينا ايام الصبا ببهجتها فذهلنا عن انغام المغنين والحان العازفين واشكال الراقصين وطرنا على اجنحة الخيال الى عالم بهجة وحبور العالم الذي تقيم فيهِ نفوس الابرار في نعيم مقيم وعاد اليَّ الحلم الذي حلمتهُ في صباي وانقضت بهِ سعود ايامي ابتدأ امام بستان ابيكِ واستمرَّ الى نهر قدنس فرأيت نفسي في بارجة ذهبيَّة مكللة بالازهار وانا متكئة على اريكة من الارجوان والورود منثورة حولي وتحت قدميَّ وقد عبث النسيم بشراع السفينة وتغنى جواريَّ على نغم العود وعبقت الطيوب في الهواء فحمل النسيم ارجها الى الشاطئ مبشراً الاحياء بقدوم السعادة التي اختصَّ بها الالهة . فخضع انطونيوس لي جسداً وعقلاً وبسط الهناء علينا ظلهُ ورتعنا في نعيم الحياة ولم نعد نحسب للدهر حساباً . كان هو قد تسلَّط على المسكونة فتسلطتُ انا عليهِ وسرَّ بالخضوع لي لانهُ كان يشعر اني انا خاضعة لهُ ايضاً وطوع امرهِ . وتمَّ ذلك كلهُ من غير سحر ومن غير كاس . واين الكاس فقد اطعمتها

النيران وأرحت ضميري منها اما السحر فالسحر العقلي الذي انعمت بهِ الالهة عليَّ وجعلتني اتسلط بهِ على هذا الجبَّار

"ومن نهر قدنس جاء بي الى هنا الى الاسكندرية حيث قضينا ايام الصفا ومرَّت بنا اوقات الهناء تنعكس صورها البهية عن مرآت الدهر وامتزجت نفسانا امتزاج الراح بالماء . سقياً لتلك الايام ما كان اجملها ولعصر الشاب ما احلاهُ . كانت الجماهير تصفق لنا طرباً وتحيينا باصوات البشر والهتاف ونحن نرتشف الملذات صافية المشارب خالية من الاكدار ورزقنا الاولاد لذة الحياة الدنيا اشتركنا فيها من غير تفاضل . هذه هي الصورة التي مرَّت بذهني حاكها لي الخيال من اطايب الذاكرة وصوَّرها امام عينيَّ صورة مجسمة وقال هذه هي حياتك الماضية

"والآن لو اتاني الموت غداً يا شارميان ما كنتُ اقول لهُ بكَّرتَ وجئتَ قبل الميعاد قبل ان اجني كل ثمار الحياة الشهية كلاَّ ثم كلاَّ . ومن يستطيع ان يقول انهُ تمتع من الحياة باطايب تفوق ما كان يحلم بهِ في صباهُ فهو السعيد ولو وقف على حافة القبر . فاني تمنيت في صباي ان اكون اعظم امرأة في عصري وانا اسمع الناس يقولون اني كذلك وتمنيت ان أُحِبَّ وأُحَبَّ فنلت ماتمنيت وصرت زوجة محبوبة واما محبة وملكة مكرَّمة وصافتني الايام واختارت لي اصدق الاصدقاء ارخبيوس وشارميان وايراس

"والآن لا ابالي مها حدث بعد ذلك فقد رأيت هذه الليلة اني قد شربت كاس الحياة دهاقاً ولم يبقَ الاَّ ان افعل ما يتجدد بهِ ذكري مدى الادهار كملكة عزيزة الجانب وامرأة محمودة الخصال . وهذا شرعت فيهِ ويكاد يتم فان جورجياس يبني لي الآن حصناً حصيناً يقي كليوباطرة ربة التاج من الاسر والذل والتشهير

"حان وقت النوم فاذا استيقظت في الصباح ورأيت الدائرة قد دارت على جنودي ولم يبقَ امامي الاَّ كاس الردى فلا تحق لي الشكوى من الدهر الاَّ انهُ حرمني الراحة التي تحلم بها الفتاة ولكنني سأنالها قريباً فان ابواب الموت مفتوحة امامي وهو عالم الراحة والسكون على ما يقول المصريون وعين العقل لا ترى ما وراء الابديَّة"

قالت ذلك وسارت نحو غرف الاولاد واشارت الى شارميان لتتبعها ولما فتحت الباب ونظرت الى اسرَّتهم وهي فارغة منهم جمد الدم في عروقها واطرقت مفكرةً ذليلةً وزالت منها البهجة والمباهاة اللتين راجعت بهما تاريخها الماضي كما يزول تورُّد السماء الذي يتجلى بهِ الافق وقت مغيب الشمس اذا حلك الظلام فجلست والقت رأسها على سرير التوأمين واخذها البكاء. وكان الصباح قد لاح فجعلت شارميان تتوسَّل اليها لتدخل غرفتها وتنام فقامت وكفكفت

دموعها وقالت "كنت الساعة افكرّ في حياتي الماضية واتصورها بستاناً شهي الثمار فاذا هو مشحون بالافاعي وقد نشرت اوداجها ونضضت السنتها فمن نزع الازهار التي كانت مختفية تحتها . لا بدَّ من قوَّة خفيَّة فعلت ذلك قوة تسود في غرف الاولاد اكثر ممَّا تسود في غيرها وهي قوة الضمير . ههنا في مقام الطهارة تظهر كل لطخة سوداء مهما كانت صغيرة . اواه لو كان الاولاد ههنا الآن ولكن كلاَّ خير لي انهم ليسوا هنا لا بدَّ من الصبر في هذا الموقف الحرج ولو كانوا هنا لكان النظر في وجوههم يذهب بشجاعتي . طلع النهار فالبسيني ثياب النهار فانهُ يستحيل عليَّ ان انام وهذا الاضطراب في قلبي"

وحينما كانت شارميان تلبسها ثيابها سمعت من المرفإ لغطاً شديداً ومعهُ اصوات الابواق تدعو البوارج للاقلاع والجنود للسير وتردد الاكام صداها . وللحال خرجت البوارج تتهادى كالاعلام فقالت في نفسها كم من مرة حدث ما لا اتوقع حدوثهُ . مَن كان يظن ان اكتافيانوس يتغلب علينا في اكتيوم وما ادرانا ان السعد لا يتحول منهُ الينا والدهر في الناس قُلَّب . ما ادرانا ان انطونيوس لا يعود الى سابق عهدهِ فيظهر البسالة والحنكة اللتين امتاز بهما في شبيبتهِ

وكانت قد ابت مقابلتهُ قبل الخروج للحرب لئلاَّ تتحوَّل افكارهُ اليها فاطلَّت الآن من الشباك ورأتهُ منتصباً في صهوة جوادهِ كاله الحرب وقد لبس درعاً من الذهب الوهاج وسار في مقدمة الفرسان وهو يلتفت يمنةً ويسرةً ويحيي جنودهُ باسماً فكادت تنقاد الى عواطفها وتناديهِ وتحييهِ ولكنها عادت وملكت طبعها. ثم لما غاب عن عينيها اطرقت كاسفة البال لانها رأت تحيَّة الجنود لهُ فاترة لا كما كانت في السنين الغابرة فتشاءمت من ذلك واوجست شرًّا

وشاهد ديون وجورجياس ذهاب الجنود ورأيا ما رأتهُ الملكة وهو ان الجنود لم تهتف لانطونيوس كما كانت تهتف لهُ في الحروب السالفة فاوجسا ايضاً وكان ديون قد التقى بجورجياس في مجتمع الفتيان فقال لهم جورجياس عنهُ انهُ طيف ديون المتوفى فان سألتموهُ اين كنت او الى اين انت ذاهب اختفى من امام عيونكم فلم يدهشهم ذلك لان الاعتقاد بحضور الارواح كان راسخاً في النفوس ورحَّبوا بهِ لانهُ كان رئيساً لهم . وكانت الملكة قد امرت الفتيان ان لا يتقلدوا السلاح لان اكتافيانوس لا يعفو عن احد تقلَّد سلاحاً اذا لم يكن من الجند المنظَّم . وكان هؤلاء الفتيان من نخبة عيال المدينة فلم تشأ ان تفجع والديهم بهم لاسيما وانها كانت تعرف كثيرين منهم

وسار جورجياس بديون الى المكان الذي كان يبني فيهِ المدفن للملكة وكان قد اتم الطبقة الاولى التي يوضع الناووس فيها بناها بحجارة كبيرة من الغرانيت الرمادي . وجدرانها مائلة من

خارجها الى الداخل كما هي في كل الهياكل المصرية وفوق الباب صورة قرص الشمس المجنحة وعلى جانبيهِ محرابان في احدهما تمثال انطونيوس وفي الآخر تمثال كليوباطرة وهما من النحاس الاسمر وفوق الافريز تماثيل المحبة والموت والشهرة والسكوت

وغلقا الباب كبيران جداً مصفحان بالنحاس المنقوش نقشاً نائئاً بديعاً وهما متينان لا تقتحمهما المجانق اذا أُقفلا. وعلى جانبي السلم المؤدي الى الباب تماثيل حيوانات رابضة برؤُوس بشرية من الحجر الاعبل وكل ما في المدفن كبير فخيم يمثل مهابة الموت ودوام الخلود

ولم تكن الطبقة الثانية من هذا البناء قد تمت وكان البنَّاؤُون مسرعين في تغطية جدرانها بحجارة المرمر الاسود وهناك آلة كبيرة لرفع الاثقال والعمال يرفعون بها قطعة عظيمة من المرمر نقشت فيها صورة الزهرة الظافرة والخوذة على رأسها والرمح في يمينها والترس في يسارها وهي سائرة امام جمهور من آلهة الحب وقد راشوا نبالهم وهجموا بها على سربروس اله الموت واثخنوهُ جراحاً

ولم يسمح الوقت لديون ليرى داخل المدفن لان بروس كان واقفاً في انتظارهِ ليعود بهِ الى الجزيرة عند الفجر وكان النور قد لاح في المشرق. ولم يكد ديون وجورجياس يصلان الى المرفإ حيث قارب بروس حتى كان نور الفجر قد انعكس عن القبة الذهبيَّة التي فوق السرابيوم

وافترق الصديقان واسرع ديون لينزل الى قارب بروس وهو يلوم نفسهُ لانهُ تأخر في المدينة فوجد انهُ ليس في الطاقة اخراج القارب من بين القوارب المحيطة بهِ لانها جمعت كلها في مكان واحد حتى لا تقف في طريق البوارج والزوارق الحربية

ولم تكن بارين قد علمت بذهاب زوجها الى المدينة فلما نهضت في الصباح ولم تجدهُ قلقت قلقاً شديداً لاسيما وانها رأت السفن الحربية خارجة من المرفإ مئتي سفينة والمجاذيف تضرب صفحة الماء في جوانبها فعلمت انهُ يستحيل عليهِ ان يعود بينها ولا يكشف امرهُ فلم تعد تستطيع القيام في البيت بل قامت لتنزل الى الشاطىء وحاول النساء صرفها عن عزمها لانها لم تنزل الى الشاطىء قبلاً ولم تكن تخرج من البيت الاَّ لتقف في ظل سترة متصلة بهِ حيث لا تُرى عن بُعْد خوفاً من عيون الرقباء. اما الآن فان آمالها كلها كانت معلقة بزوجها وابنها فلم تعد تبالي بالمخاطر لاجلهما ونزلت الى الشاطىء متكئة على ذراع اختها ونظرت يمنةً ويسرةً فلم ترَ غير البوارج الحربيَّة تملأُ عرض البحر وتسير عليهِ كالتنانين الكبيرة ذوات الارجل الكثيرة وحول كل بارجة منها زوارق صغيرة مشحونة بالمقاتلة وفي السفن قرون حادَّة الرؤُوس من المعدن الصقيل لتنطح بها سفن الاعداء وتخرقها وانعكست اشعة الشمس عن تلك القرون اللامعة وعن

التماثيل المذهبة التي في مقادم البوارج وعن اسلحة المقاتلة التي فيها والجنود المصطفة للقتال على التلال حول المدينة بما يبهر الابصار

وزادت جلبة الجنود برًّا وبحرًا وعلت الصيحات تمازجها اصوات المبوقين . وخارت قوى بارين فجلست على كرسي أُتي بهِ اليها وضعتهُ لها هيلانة في ظل صخر شاهق . ولما خرجت السفن من مضيق المرفإ الى عرض البحر انقسمت وسارت في صفوف متباعدة وكأنها كانت تحث الركاب الى نزال الاعداء اما بوارج اكتافيانوس فظلت واقفة في مكانها ولم تبدِ حراكًا كأنها قنعت بالدفاع • ولم تتقدَّم سفن المصريين الَّا قليلاً حتى علت صرخة عظيمة كأنها صراخ جبار متألم وللحال رفع العبيد والمجرمون مجاذيفهم من الماء دفعةً واحدةً فوقفت البوارج والزوارق في اماكنها كالاصنام مهارة فائقة في صناعة ملك البحر ولكنها اعربت عن خيانة لم يروِ التاريخ افظع منها فصرخت امرأة بروس وكنتاها خيانة خيانة خانت البوارج وقضي الامر

اسطول مصر الذي انشأتهُ كليوباطرة لانطونيوس ليدفع بهِ الاعداء عنها خان كلهُ وسلَّم للعدو في لحظة واحدة خان عهد انطونيوس بعد ان حلف لهُ يمين الطاعة والامانة وانضم الى اسطول العدو. وبلغ انطونيوس ذلك فايقن بالهلاك . وعاد الاسطولان الى المرفإ معًا والقيا المراسي امام المدينة

ولما رأت بارين ذلك اطرقت كاسفة البال عالمة انهُ زال مجد المكدونيين ودالت دولة البطالسة وكأن الشمس اخفت وجهها حياء مما فعلهُ اولئك الخونة لأن ضبابًا كثيفًا حجب وجهها. وارغى البحر وازبد واخذ الغيظ منهُ كل مأخذ حتى ظهر كأن الطبيعة كلها سخطت على ما فعلهُ بنو الانسان

ولم يشغل هذا المنظر الرهيب بارين عن زوجها بل زاد بهِ بلبالها ودعت ابن بروس الاصغر وطلبت منهُ ان يأخذها بقارب الى المدينة وبينما هي تكلمهُ رأت ديوني اختهُ قاربًا آتيًا نحو الجزيرة ولم يكن الَّا دقائق قليلة حتى وثب ديون على الشاطىء وضمَّ زوجتهُ الى صدرهِ وهي تقابلهُ باللوم والتعنيف . وكان قد سمع بخيانة الاسطول فلم تزل بهجة التقائهما ما كانا يجدانهِ من الانقباض والخوف على الملكة والمملكة

ومرَّ النهار وخيَّم الليل وعلا نباح الكلاب وصياح الناس واختفت نجوم السماء غيظًا لكن انوار المدينة بقيت تتلألا على جاري عادتها . وخرج ديون الى الشاطيء فرأى بروس وابنهُ الاصغر يحاولان انقاذ زورق من الارتطام واذا بجورجياس في القارب فحياهُ ديون وساعدهُ على الصعود ووضع يدهُ في يدهِ ليسير بهِ الى البيت فقال لهُ ديون تمهَّل حتى اقص عليك ما جرى قبلما تدخل البيت

(ستأتي البقية)